التَّرَفُ

مفهومه وأسبابه وعواقبه

إعداد الأستاذ:

سعيد بن مطر المسقري

أبو معاذ

الطبعة الثانية

مكتبة وتسجيلات الهلال الإسلامية

التَّـرَفْ
مفهومه وأسبابه وعواقبه

التَّـــــرَفُ

مفهومه وأسبابه وعواقبه

تأليف الأستاذ:

سعيد بن مطر بن سعيد المسقري

مكتبة وتسجيلات الهلال الإسلامية

سلطنة عمان - ولاية الرستاق - ٢٦٨٧٥٢٢٢

الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الْمُقَدِّمَة

الحَمْدُ للهِ الَّذي أَمَرَنَا بِإيثَارِ الدَّارِ البَاقِيَةِ، وَحَذَّرَنَا مِنَ الاغْتِرَارِ بِهَذِهِ الحَيَاةِ وَشَهَوَاتِهَا الفَانِيَةِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَآلِهِ أَجْمَعِينَ، أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذِهِ رِسَالَةٌ تُحَذِّرُكَ -أَخِي العَزِيْزُ- مِنَ التّرَفِ الّذِي هُوَ التَّلَفُ، التَّرَفُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا التَّرَفُ؟ وَهَلْ أَفْسَـــدَ عَلَى النَّاسِ دَيْنَهُم وَدُنْيَاهُم إِلَّا التَّرَفُ؟ وَهَلْ أَهْلَكَ الأُمَمَ، وَالشُّعُوْبَ، وَالأَفْرَادَ الْمَاضِيَةَ، وَالحَاضِرَةَ، إِلَّا التَّرَفُ؟ وَهَلْ أَذَلَّ الأُمَّةَ الإِسْـــلَامِيَّةَ الْمُعَاصِـــرَةَ بَعْدَ عِزِّهَا إِلَّا الانْغِمَاسُ فِي الْمَعَاصِـــي وَالتَّرَفُ؟ اسْـــأَلِ التّأرِيْخَ يُخْبِرْكَ مَاذَا فَعَلَ التَّرَفُ؟ وَهَلْ أَبْعَدَ النّاسَ عَنْ رَبِهِم إِلَّا التَّرَفُ؟ أَلَا تَرَى الآيَاتِ القُرْآنِيَةَ العَظِيْمَةَ تَذُمُّ التَّرَفَ؟ وَإِذَا كَانَ التَّرَفُ بِهَذِهِ الخُطُوْرَةِ، فَمَا حَقِيْقَتُهُ؟

مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ

الحَمْدُ للهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ مُحَمَّدٍ أَفْضَلِ خَلْقِ اللهِ، وَآلِهِ وَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاهُ أَمَّا بَعْدُ: فَهَذَا هُوَ كِتَابُ التَّرَفِ فِي طَبْعَتِهِ الثَّانِيَةِ. التَّرَفُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا التَّرَفُ؟ إِنَّهُ هُوَ التَّلَفُ. أَخِي الْمُتْرَفُ أَمَا رَأَيْتَ مَا فَعَلَ التَّرَفُ بِالْمُتْرَفِيْنَ قَبْلَكَ؟ أَمَا تَرَاهُم فِي قُبُورِهِم صَرْعَى وَيَتَمَنَّونَ قَلِيْلاً مِنَ الرَّاحَةِ؟ أَمَا تَرَى نَدَمَهُم وَعَذَابَهُم لَيْسَ لَهُ نِهَايَةٌ؟ إِنْ كُنْتَ لَا يُقْنِعُكَ هَذَا فَإِنِّي أُذَكِّرُكَ بِقَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢﴾ النحل: ١١٢، تَأَمَّلْ كَيْفَ كَانُوا وَكَيْفَ صَارُوا وَنَحْنُ نَرَى هَذِهِ العُقُوبَةَ تَتَكَرَّرُ وَفِي زَمَانِنَا أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ. أَيُّهَا الْمُتْرَفونَ أَمَا تَرَونَ الْمُتْرَفِينَ فِي زَمَانِنَا كَيْفَ صَارُوا؟ أَمْ تَنْتَظِرُونَ أَنْ نَصِيرَ مِثْلَهُم؟ أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُفَرِّجَ كَرْبَهُم وَيَهْدِيَهُم.

أَيُّهَا الْمُتْرَفونَ تَأَمَّلُوا قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥ فَأَعۡرَضُواْ

فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ١٦ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧﴾ سبأ: ١٥ – ١٧.

أَيُّهَا الْمُتْرَفونَ لَا تَقُولُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ الكُفَّارَ غَارِقُونَ فِي التَّرَفِ وَلَمْ يُصِبْهُم شَيءٌ فَإِنَّ أُولَئِكَ لَا أَمَلَ فِي رُجُوعِهِم إِلَى رَبِّهِم، أَمَّا نَحْنُ المسْلِمِينَ فَإِنَّنَا فِي العِنَايَةِ المرَكَّزَةِ، فَإِنَّ اللهَ –جَلَّ جَلَالُه– يُعَالِجُنَا بِالمصَائِبِ، لَعَلَّنَا نَرْجِعُ إِلَى رَبِّنَا وَمَنْ لَمْ يَنْتَبِه بِوَكْزِهِ فَسَوفَ يَنْتَبِهُ بِسَحْبِهِ إِلَى القَبْرِ. أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَهْدِيَ بِهَذَا الكِتَابِ عِبَادَهُ وَيُعَرِّفَهُم خُطُورَةَ التَّرَفِ.

إعداد: سعيد بن مطر بن سعيد المَسْقري

(أبو معاذ)

حقيقة الترف

التَّرَفُ: **التَّوَسُّعُ فِي النِّعْمَةِ**. يَقُولُ الرَّاغِبُ الأَصْفَهَانِيُّ: التُّرْفَةُ (التَّرَفُ): التَّوَسُّعُ فِي النِّعْمَةِ.(١)، وَهَكَذَا قَالَ القُطْبُ فِي تيسير التفسير(٢)، هَذَا هُوَ التَّرَفُ، فَالتَّوَسُّعُ فِي النِّعَمِ هُوَ التَّرَفُ. وَالأَصْلُ أَنَّ جَمِيْعَ النِّعَمِ قَد أَعْطَانَا اللهُ تَعَالَى إِيَّاهَا؛ لِكَي نَسْتَعْمِلَهَا فِي طَاعَتِهِ، فَهِي كُلُّهَا وَسَائِلُ أَعْطَاكَ اللهُ إِيَّاهَا؛ لِتَتَقَرَّبَ بِهَا إِلَيْهِ، لَا لِتَشْتَغِلَ بِهَا عَنْ طَاعَتِهِ. يَقُولُ أَحَدُ العُلَمَاءِ: "أَعْطَى اللهُ تَعَالى النَّاسَ النِّعَمَ؛ لِيَتَقَرَّبُوا بِهَا إِلَيْهِ، فَاشْتَغَلُوا بِهَا عَنْهُ".

مِثَالٌ: لَو أَرْسَلَ إِلَيْكَ السُّلْطَانُ سَيَّارَةً؛ لِتَرْحَلَ بِهاَ إِلَيْهِ، فَهُوَ يُرِيْدُ أَنْ يُكْرِمَكَ طُولَ حَيَاتِكَ، وَلَكِنَّكَ لَم تَذْهَبْ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَنْتَظِرُكَ، وَأَنْتَ -كُلَ يَومٍ- تُلَمِّعُ السَّيَّارَةَ، وَتَمْشِي مُفْتَخِراً بِهَا، وَكَأَنَّكَ تَقُولُ لِلنَّاسِ: "اُنْظُرُوا إِلَيَّ، وانْظُرُوا إِلَى سَيَّارَتِي"، وَانْتَهَتِ الحَيَاةُ، وَلَمْ تَذْهَبْ إِلَى السُّلْطَانِ، فَهَلْ نِلْتَ كَرَامَتَهُ؟ هَكَذَا الْمُتْرَف، بَلْ أَشَدُّ؛ فَأَنْتَ شَغَلَتْكَ سَيَّارَةٌ وَاحِدَةٌ، وَحَرَمَتْكَ

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص١٦٦.

(٢) تيسير التفسير، ج٧، ص٥٥.

خَيْراً عَظِيماً، أَمَّا الْمُتْرَف فِإِنَّ جَمِيعَ النِّعَمِ حُجُبٌ تَحْجُبُهُ عِن اللهِ، تَخَيَّلْ كَم حِجَاباً عَلَى قَلْبِهِ؟ وَمَعَ هَذِهِ الحُجُبِ كَيْفَ يَتَنَوَّرُ قَلْبُهُ بِطَاعَةِ اللهِ تَعَالَى؟!

إِنَّ الْمُتْرَف وَلَو أَدَى الصَّلَاةَ فَمَا أَثْقَلَهَا عَلَيْهِ! وَمَا أَسْرَعَهُ فِيْهَا! وَتَجِدُ الْمُتْرَف حَرِيصاً عَلَى تَنْوِيعِ الْمَأْكُولَاتِ وَالْمَشْرُوبَاتِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ فِي سَرَفٍ وَاضِحٍ، وَمَا هَكَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، وَلَا السَّلَفُ الصَّالِحُونَ. وَتَجِدُهُ حَرِيصاً عَلَى كَثْرَةِ الْمَلَابِسِ، وَتَخْزِينِهَا وَبِأَغْلَى الأَثْمَانِ دُونَ حَاجَةٍ، وَتَجِدُهُ حَرِيصاً عَلَى وَسَائِلِ النَّقْلِ البَاهِظَةِ الثَّمَنِ، وَحَرِيصاً عَلَى تَغْيِيرِ مَلَابِسِهِ، وَجَمِيعِ حَاجَاتِهِ، وَاقْتِنَاءِ الجَدِيدِ دُونَ حَاجَةٍ.

إِنَّ الْمُتْرَفَ لَا يَقْنَعُ بِمَا يَكْفِيهِ، بَل تَرَاهُ يُحَاوِلُ أَنْ يَتَوَسَّعَ، وَيَزِيدَ عَن الكِفَايَةِ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ فِي الْمَأْكُولَاتِ، والْمَشْرُوبَاتِ، وَالْمَسَاكِنِ، وَالْمُقْتَنَيَاتِ، وَجَمِيعِ الوَسَائِلِ الحَدِيثَةِ، وَتَجِدُهُ حَرِيصاً عَلَى الرَّحَلَاتِ الَّتِي لَا فَائِدَةَ مِنْهَا إِلَّا ضَيَاعُ الوَقْتِ، وَالْمَالِ، وَحَرِيصاً عَلَى كَثْرَةِ الأَصْدِقَاءِ مِنَ الْمُتْرَفِينَ، وَحَرِيصاً عَلَى كَثْرَةِ الكَلَامِ، وَالثَّرْثَرَةِ.

أَخْبَرَنِي أَحَدُ الآبَاءِ قَالَ: "إِنَّ لَدَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَوْلَادِي—تَقْرِيباً—عِشْرِينَ دِشْدَاشَةً! وَكُلُّ وَاحِدَةٍ قِيمَتُهَا (٣٠) رِيَالاً! وَمَا أَسْرَعَهُم فِي رَمْيِهَا فِي القُمَامَةِ! عَلَى رَغْمِ تَعَبِهِم فِي تَفْصِيلِهَا مِنْ خَارِجِ الوِلَايَةِ!.

هَذِهِ الْمَلَابِسُ، وَقِسْ عَلَيْهَا غَيْرَهَا مِنَ التَّرَفِ، وَالتَّفَاهَاتِ، فَكَيْفَ يُعِزُّ اللهُ أُمَّةً هَذَا حَالُ شَبَابِهَا؟ إِنَّ أُمَّةً لَيْسَ لَهَا هِمَّةٌ إِلَّا أَنْ تَغْرَقَ فِي الشَّهَوَاتِ مَصِيرُهَا الهَلَاكُ وَالدَّمَارُ كَمَا كَانَ مَنْ قَبْلَهَا، وَعَلَى أَهْلِ العِلْمِ أَنْ يُقَدِّمُوا نُصْحَهُم لِلنَّاسِ، وَأَنْ يَكُونُوا قُدْوَةً لَهُم وَإِلَّا فَلَا أَحَدَ يَسْتَمِعُ إِلَيْهِم وَلَكِنْ مِمَّا يُؤْسِفُ كُلَّ غَيُورٍ عَلَى دِينِهِ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ العِلْمِ غَارِقِينَ فِي التَّرَفِ وَحُبِّ العَاجِلَةِ وَقَدْ آثَرُوهَا عَلَى الآخِرَةِ.

أَيُّهَا الْمُتَعَلِّمُونَ هَلْ تُرِيدُونَ أَنْ يَكُونَ عِلْمُكُم حُجَّةً عَلَيْكُم؟ بِمَاذَا أُذَكِّرُكُمْ وَقَد عَلِمْتُمْ مَا لَم أَعْلَمْ؟ كَيْفَ تَدعُونَ النَّاسَ إِلَى تَرْكِ التَّرَفِ وَأَنْتُمْ غَارِقُونَ فِيهِ؟ بِمَاذَا تُجِيبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِذَا سُئِلْتُمْ عِنِ الآيَاتِ الَّتِي تُطَالِبُكُمْ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ؟ هَلْ أُذَكِّرُكُمْ بِهَا وَأَنْتُم تَتَرَنَّمُونَ بِهَا لَيْلاً وَنَهَاراً؟. إِنَّ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ وَالتَّرَفَ سَوْفَ تَرْحَلُونَ عَنْهُ قَرِيباً، لَو جَاءَكُم كِتَابٌ مِنَ الحَاكِمِ يَأْمُرُكُم وَيَنْهَاكُم وَيَعِدُكُم وَيَتَوَعَّدُكُم فَهَلْ تَكْتَفُونَ بِقِرَاءَتِهِ. يَا أَهْلَ العِلْمِ إِنَّكُم

إِذَا غَرِقْتُم فَسَوْفَ يَغْرَقُ مَعَكُم خَلْقٌ كَثِيرُونَ فَتَأَهَّبُوا لِيَوْمِ الْمَعَادِ، إِخْوَتِي الْمُقَصِّرِينَ فِي الدَّعْوَةِ مِثْلِي لِي فِيْكُم أَمَلٌ كَبِيرٌ فَلَا تَشْغَلْكُمُ الدُّنْيَا الفَانِيَةُ.

يَا رِجَـــالَ الـــدِّيْنِ يَا مِلْـــحَ البَلَـــدْ مَـنْ يُصْـلِحُ المِلْـحَ إِذَا المِلْـحُ فَسَـدْ

إِنَّ كُلَّ مَا زَادَ عَنْ حَاجَةِ الإِنْسَانِ فَهُوَ عَلَى حِسَابِ دِيْنِهِ بِلَا شَكٍ، فَإِنَّ هَذِهِ النُّقُوْدَ الَّتِي يَصْرِفُهَا فِيْ التَّرَفِ يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَشْتَرِيَ بِهَا بَسَاتِيْنَ وَقُصُوْراً تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ، وَلَيْسَ البَلَّاعَاتُ، يَسْتَطِيْعُ أَنْ يُحَوِّلَهَا مِنَ الحَيَاةِ الفَانِيَةِ إِلَى الحَيَاةِ البَاقِيَةِ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَحْرِمَ نَفْسَهُ بِاخْتِيَارِهِ إِلَّا إِذَا تَابَ؛ فَانْتَبِه يَا أَخِي؛ فَإِنَّكَ بِقَدْرِ مَا تَغْرَقُ فِي التَّرَفِ تَبْتَعِدُ عَنْ رَبِّكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الإِسْلَامَ لَا يُحَرِّمُ عَلَيْكَ أَنْ تَمْلِكَ أَمْوَالاً حَلالاً وَلَو مَلَايِينَ، وَلَكِنْ كُنْ وَسَطاً فِي الإِنْفَاقِ عَلَى بَيْتِكَ، وَقَدِّمْ كَثِيْراً مِنْ مَالِكَ لِيَوْمِ فَقْرِكَ؛ فَأَنْتَ تُرِيْدُ الرَّاحَةَ وَالسَّعَادَةَ فِي الآخِرَةِ كَمَا تُرِيْدُهَا فِي الدُّنْيَا. لِمَاذَا أَرَاكَ تَتْعَبُ كُلَ يَوْمٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَرْتَاحَ فِي الدَّنْيَا؟ كَانَ الأَوْلَى لَكَ أَنْ تَتْعَبَ أَكْثَرَ لِلحَيَاةِ البَاقِيَةِ، أَلَيْسَ كَذَلِك؟ هَيَّا يَا أَخِي، اِجْعَلِ الجَنَّةَ وَالنَّارَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ فَإِنَّكَ -إِذَا أَيْقَنْتَ- أَنَّ الآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى، فَسَوْفَ تَتْرُكُ التَّرَفَ، وَتَذَكَّرِ الْمُتْرَفِيْنَ الَّذِيْنَ مَاتُوا؛ فَقَد فَاتَتْهُمُ الدُّنْيَا

وَالآخِرَةُ، وَإِذَا كَانَ التَّرَفُ هَكَذَا يُدَمِّرُ أَهْلَهُ، فَلَا تَسْتَغْرِبْ إِذَا وَجَدتَهُ لَمْ يُذْكَرْ فِي القُرْآنِ إِلَّا مَذْمُوماً.

التَّرَفُ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ

١- بَيَّنَ اللهُ تَعَالى أَنَّ عَذَابَ الاسْتِئْصَالِ لِلأُمَمِ لَهُ سَبَبَانِ:

أ- **عَدَمُ النَّهْيِ عَنِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ.**

ب- **وُجُوْدُ التَّرَفِ.**

يَعْنِي أَنْ تَكُوْنَ الأُمَّةُ لَيْسَ لَهَا هِمَّةٌ إِلَّا أَنْ تَغْرَقَ فِي التَّرَفِ وَالشَّهَوَاتِ وَلَو عَلَى حِسَابِ دِيْنِهَا؛ تُرِيْدُ بِذَلِكَ أَنْ تَتَنَعَّمَ، وَنَسِيَتْ أَو تَنَاسَتْ أَنَّ النَّعِيْمَ البَاقِيَ خَيْرٌ مِنَ الفَانِي. يَقُولُ اللهُ تَعَالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ هود: ١١٦، أَلَمْ تَرَ أَنَّ هَذَيْنِ السَّبَبَيْنِ مَوْجُودَانِ الآنَ فِي كُلِ أَنْحَاءِ العَالَمِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي؟ أَيْنَ البِلَادُ الَّتِي تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ وَأَيْنَ البِلَادُ الَّتِي لَمْ تَغْرَقْ فِي التَّرَفِ الآنَ؟ فَتِّشْ فِي جَمِيْعِ أَنْحَاءِ العَالَمِ، وَأَعِدِ النَّظَرَ مَرَاتٍ، وَكَرَّاتٍ. إِنَّ كَثِيْراً مِنَ البُلْدَانِ الآنَ تَأْمُرُ بِالْمُنْكَرِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمَعْرُوفِ.

وَإِذَا كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَد حَلَّتْ عَلَيْهِم لَعْنَةُ اللهِ -تَعَالى- لَأَنَّهُم كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يَقُولُ اللهُ تَعَالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ المائدة: ٧٨ - ٧٩؛ إِذَا كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَصَابَتْهُم لَعْنَةُ اللهِ بِهَذَا السَّبَبِ، أَفَلَا يَكُونُ هَذَا مُنْذِراً لِلأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ؟ وَقَد عَمِلَتِ السَّبَبَ نَفْسَهُ؟ بَلْ زَادَتْ إِذْ أَمَرَتْ بِالْمُنْكَرِ، وَنَهَتْ عَنِ الْمَعْرُوفِ.

وَأَنَا لَا أُعَمِّمُ، وَلَكِنَّ هَذَا مَوْجُوْدٌ فِي عَصْرِنَا فِي أُمَّةِ الإِسْلَامِ، لَا يُنْكِرُهُ إِلَّا أَعْمَى. فَيَا أُمَّةَ الإِسْلَامِ، مَهْلاً، فَقَد أَعَزَّكِ اللهُ بِالإِسْلَامِ رَدْحاً مِنَ الزَّمَنِ، وَمَكَّنَ لَكِ فِي الأَرْضِ، وَأَرْغَمَ لَكِ أُنُوفاً تَكَبَّرَتْ عَنِ السُّجُودِ لِلوَاحِدِ الدَّيَّانِ، وَجَعَلَكِ سَيِّدَةَ العَالَمِ بِلَا مُنَازِعٍ، وَأَسْقَطَ لَكِ عُرُوشاً كَانَتْ مَغْرُورَةً بِهَذِهِ الحَيَاةِ القَصِيْرَةِ، أَفَلَا نَسْأَلُ أَنْفُسَنَا لِمَاذَا أَعَزَّ اللهُ تَعَالى أَسْلَافَنَا هَكَذَا وَلِمَاذَا أَذَلَّنَا؟ أَفَلَا نَسْأَلُ أَنْفُسَنَا مَا سَبَبُ ذِلَّتِنَا؟ أَفَلَا تَرَى — يَا أَخِي- أَنَّ دِمَاءَ الْمُسْلِمِيْنَ أَصْبَحَتْ أَرْخَصَ مِنْ دِمَاءِ الكِلَابِ؟ أَفَلَا تَرَى الْمُهَجَّرِينَ مِنَ الدِّيَارِ

الْمُحَمَّدِيَّةِ قَد ضَاقَتْ عَلَيْهِم الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ؟ أَفَلَا تَرَاهُم يَمُوْتُونَ فِي البَحْرِ، وَقَد هَرَبُوا مِنْ طَوَاغِيْتِهِم؟

وَاللهِ -يَا إِخْوَتِي- إِنْ لَم نَرْجِعْ إِلَى رَبِّنَا وَمَصْدَرِ عِزَّتِنَا فَعَلَيْنَا أَنْ نَرْتَقِبَ الأَسْوَءَ؛ فَقَد أَهَنَّا أَنْفُسَنَا بِالغَرَقِ فِي التَّرَفِ، وَالمعَاصِي، فَأَهَانَنَا اللهُ ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ الحج: ١٨، إِنَّ أُمَّةً غَرِقَتْ هَكَذَا كَيْفَ تَنْتَظِرُ النَّصْرَ وَالعِزَّةَ؟ أَخِي لَا تَقُلْ: مَاذَا أَفْعَلُ بِهَذَا السَّيْلِ الجَارِفِ؟ اِبْدَأْ بِتَطْبِيْقَ الإِسْلَامِ فِي نَفْسِكَ وَعِيَالِكَ، وَحِيْنَ تَقْرَأُ أَيَّ آيَةٍ مِنَ القُرْآنِ العَظِيْمِ فَاعْلَمْ أَنَّهَا تَعْنِيكَ، نَعَمْ تَعْنِيكَ، وَتَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تُطَبِّقَهَا. إِنَّ آيَاتِ القُرْآنِ هِيَ رَسَائِلُ مِنَ اللهِ تَعَالى المرَادُ العَمَلُ بِهَا، فَمَا فَائِدَةُ أَنْ نَتَرَنَّمَ بِقِرَاءَاتِهِ وَنَحْنُ نُخَالِفُهُ.

طَبِّقْهُ يَا أَخِي وَبَلِّغْهُ لِلنَّاسِ قَدْرَ اسْتِطَاعَتِكَ، وَتَذَكَّرْ أَنَّ تَبْلِيْغَ دِيْنِ الإِسْلَامِ لِلنَّاسِ فَرْضُ عَيْنٍ، وَلَا تَقُلْ: إِنَّ التَّبْلِيْغَ وَاجِبٌ عَلَى العُلَمَاءِ فَقَط، لَا، فَإِنَّ شُرُوطَ النَّجَاةِ مِنَ الخُسْرِ أَرْبَعَةٌ، وَمَنْ أَنْقَصَ وَاحِداً مِنْهَا فَهُوَ خَاسِرٌ، رَاجِعْهَا تَجِدْهَا فِي سُورَةِ (العَصْرِ). وَلَو لَمْ تَعْرِفْ إِلَّا آيَةً وَاحِدَةً فَبَلِّغْهَا لِلنَّاسِ، وَبَلِّغْ جَمِيْعَ مَا تَعَلَّمْتَهُ، وَعَرَفْتَهُ يَقِيْناً مِنْ دِيْنِ اللهِ، بَلِّغْ أَوَّلاً أَهْلَكَ وَأَوْلَادَكَ قَالَ

اللهُ تَعَالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ الشعراء: ٢١٤ تَعْرِفُ سُوْرَةً قَصِيْرَةً أَوْ آيَةً بَلِّغْهَا قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَو آيَةً) رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

أَخِي تَذَكَّرْ أَنَّهُ يُكْتَبُ لَكَ حَسَنَاتٌ عَلَى مِقْدَارِ مَنِ اهْتَدَى عَلَى يَدَيْكَ، فَكُلُ مَنْ عَلَّمْتَهُ، أَو أَرْشَدْتَهُ، أَو أَمَرْتَهُ بِطَاعَةِ اللهِ، أَو نَهَيْتَهُ عَنْ مُنْكَرٍ، فَكُلَّمَا عَمِلَ الْمُهْتَدِي –عَلَى يَدَيْكَ– خَيْراً يُكْتَبُ لَكَ مِثْلُ ثَوَابِهِ طُوْلَ حَيَاتِهِ، حَتَّى لَو أَنْتَ تَحْتَ التُّرَابِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ دَلَّ عَلَى خَيرٍ فَلَهُ مِثلُ أَجرِ فَاعِلِهِ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلَ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا) رَوَاهُ مُسْلِمٌ. فَأَنْتَ لَوْ عَلَّمْتَ إِنْسَانًا سُورَةَ الْفَاتِحَةِ مَثَلًا، فَكُلَّمَا قَرَأَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ الْفَاتِحَةَ يُكْتَبُ لَكَ مِثْلُ أَجْرِهِ، فَكَيْفَ لَوْ عَلَّمْتَهُ الْقُرْآنَ كَامِلًا؟ وَكَيْفَ لَوْ عَلَّمْتَهُ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ دِينِهِ؟ وَكَيْفَ لَوْ عَلَّمْتَ أَلْفَ إِنْسَانٍ؟ إِنَّهُمْ يَشْتَغِلُونَ لَكَ، فَأَنْتَ عَلِّمِ النَّاسِ الشَّيْءَ الَّذِي تَعْرِفُهُ –يَقِينًا– تَفْرَحْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللهُ يُعِينُكَ.

٢- الْمُتْرَفُونَ يُكَذِّبُونَ الرُّسُلَ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ الزخرف: ٢٣، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ﴾ المؤمنون: ٣٣، وَهَكَذَا جَمِيعُ الرُّسُلِ، أَوَّلُ مَنْ يُكَذِّبُهُم الْمُتْرَفُونَ، ثُمَّ يَتْبَعُهُم الْعَامَّةُ؛ لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ الثَّراءِ، وَالْجَاهِ، وَالْمَنَاصِبِ، وَلَكِنْ مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ؟ وَأَيْنَ الْمَهْرَبُ؟

٣- الْمُتْرَفُونَ يُحَاوِلُونَ الْهَرَبَ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ﴾ المؤمنون: ٣٣، إِنَّهُمْ يَرْكُضُونَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ فَيُقَالُ لَهُمْ (لَا تَرْكُضُوا)، وَارْجِعُوا إِلَى تَرَفِكُمْ وَرَاحَتِكُمْ، وَبُيُوتِكُمْ. هَذَا حَالُ الْمُتْرَفِينَ، إِنَّهُمْ لَا يَتَحَمَّلُونَ أَقَلَّ أَلَمٍ، فَكَيْفَ يَتَحَمَّلُونَ عُقُوبَةَ اللهِ الْمُدَمِّرَةَ؟ فَلَا حِيلَةَ لَهُمْ إِلَّا الصُّرَاخُ، فَانْتَبِهْ أَخِي! وَاحْذَرْ مِنَ التَّرَفِ وَلَا تَغْتَرَّ بِغَيْرِكَ، فَإِنَّكَ لَوْ فَكَّرْتَ قَلِيلًا فِي حَالِ الْمُتْرَفِينَ لَعَلِمْتَ أَنَّهُمُ اسْتَبْدَلُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ، وَلَا حِيلَةَ لَهُمْ إِلَّا الْبُكَاءُ، وَالصُّرَاخُ.

٤- الْمُتْرَفُونَ يَصْرُخُونَ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ٦٤ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ٦٥﴾ المؤمنون: ٦٤ - ٦٥، (يَجْأَرُونَ): يَصْرُخُونَ[1]، إِنَّهُمْ يَصْرُخُونَ لَعَلَّهُمْ يَجِدُونَ مَنْ يُغِيثُهُمْ، وَيَنْصُرُهُمْ، وَيَحْمِيهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَلَكِنْ هَيْهَاتَ.

٥- التَّرَفُ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ:

فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى – بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ– قَالَ: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ٤٥﴾ الواقعة: ٤٥، (مُتْرَفِينَ): مُنَعَّمِينَ، يَعْنِي أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا مُنَعَّمِينَ غَارِقِينَ فِي الشَّهَوَاتِ، فَهُمْ لَا يَتَحَمَّلُونَ التَّعَبَ فِي طَاعَةِ رَبِّهِمْ، فَكَانَ هَذَا جَزَاءَهُمْ. وَهَكَذَا، مَا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى التَّرَفَ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ إِلَّا مَذْمُومًا، فَهَلْ تَرْجُو مِنْهُ خَيْرًا؟ وَسَوْفَ تَجِدُ –أَخِي الْعَزِيزُ– فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ آيَاتٍ تُحَذِّرُ مِنَ الِاغْتِرَارِ بِالدُّنْيَا، وَآيَاتٍ تُخْبِرُكَ أَنَّ مَتَاعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ، وَآيَاتٍ تُزَهِّدُكَ فِي الدُّنْيَا، وَتُرَغِّبُكَ فِي الْآخِرَةِ. آيَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَكُلُّهَا تَصُبُّ فِي إِيثَارِ الْآخِرَةِ، وَأَنْ تَكُونَ الْآخِرَةُ هِيَ شُغْلَكَ الشَّاغِلَ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِكَ وَسَكَنَاتِكَ، وَمَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ

(١) (تَيْسِيرُ التَّفْسِيرِ ج١٠، ص٣٨) الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسَفَ الْقُطْبُ.

فَلَا شَكَّ أَنَّهُ بَعِيدٌ عَنِ التَّرَفِ. وَكَنْتُ أُرِيدُ أَنْ أُلْحِقَ تِلْكَ الْآيَاتِ بِمَوْضُوعِ التَّرَفِ، وَلَكِنْ رَأَيْتُ أَنَّ الْكِتَابَ سَوْفَ يَطُولُ، وَإِذَا كَانَ التَّرَفُ هَكَذَا فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، فَكَيْفَ هُوَ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُطَهَّرَةِ عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ؟

التَّرَفُ فِي السُّنَّةِ

هَذِهِ الْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ التَّالِيَةُ كُلُّهَا تَحُثُّ عَلَى الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَالتَّقَلُّلِ مِنْ مَتَاعِهَا الْفَانِي، وَالتَّقَلُّلِ مِنْ حُظُوظِ النَّفْسِ، وَشَهَوَاتِهَا الَّتِي تَشْغَلُكَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّكَ، وَتَحُثُّ عَلَى الْقَنَاعَةِ وَالْاقْتِصَادِ فِي الْمَعِيشَةِ، وَكُلُّ هَذَا ضِدُّ التَّرَفِ وَبَطَرِ النِّعْمَةِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَشْغَلَكَ زَهْرَةُ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ عَنْ الْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ الْبَاقِيَةِ؛ فَتَنْدَمَ نَدَمًا مُؤَبَّدًا.

١- زَهْرَةُ الدُّنْيَا

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَهَا قَدْ حَدَثَ مَا كَانَ يَخَافُهُ عَلَيْنَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، هَا هِيَ الدُّنْيَا، مَا أَظُنُّ أَنَّهَا تَزَيَّنَتْ مِنْ قَبْلُ مِثْلَ زِينَتِهَا الْآنَ، وَهَا هُمْ الْمَفْتُونُونَ بِالزِّينَةِ أَلْهَتْهُمْ عَنْ آخِرَتِهِمْ.

رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ جَنَحُوا جَمِيعًا ... إِلَى الدُّنْيَا وَمَنْظَرِهَا الْخَلُوبِ

تَزَيَّنَ ظَاهِرٌ مِنْهَا فَغَطَّى ... عَلَيْهِمْ بَاطِنًا جَمَّ الْعُيُوبِ

وَأَشْـرَقَ مَنْظَـرٌ فَصَـبَتْ إِلَيْـهِ عُيُـونٌ كَمَّهَـتْ نَظَـرَ الْقُلُـوبِ
وَأَوْضَـعَ رَاكِـبُ الشُّـعَرَاءِ سَـيْرًا إِلَيْهَـا بِالْعَزِيمَـةِ وَالـدَّؤُوبِ
فَمِلْـتُ عَـزِيمَتِي عَنْهَـا وَشِـعْرِي وَقُلْـتُ لِنَاقَتِـي يَا نَاقُ جُوبِـي
وَلَا تَـرْعَيْ بِمَنْزِلِهَـا اغْـتِرَارًا فَمَنْزِلُـكِ الضَّـرِيحُ مِـنَ الْقَلِيـبِ
فَمَـا بَعْـدَ الْمَشِيـبِ يَكُـونُ إِلَّا مُقَاسَـاةُ الْفَجَـائِعِ وَالْكُـرُوبِ[1]

وَالْإِنْسَانُ مَأْمُورٌ أَنْ لَا يُبَالِغَ فِي اسْتِحْسَانِ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَزَهْرَتِهَا، وَزَخَارِفِهَا الْفَانِيَةِ؛ لِأَنَّ هَذَا تَشْجِيعٌ لِأَهْلِ الدُّنْيَا الْمَفْتُونِينَ بِزِينَتِهَا، وَلِأَنَّ هَذَا النَّظَرَ يُلْهِيهِ عَنِ الِاسْتِعْدَادِ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ طه: ١٣١، وَفِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ يَقُولُ الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ خَلْفَانُ بْنُ جُمَيِّلٍ السِّيَابِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:

يَا آيَـةً قَـدْ نَزَلَـتْ فِـي طَـهَ كَفَـى بِهَـا زَجْـرًا لِمَـنْ تَلَاهَـا
وَلَا تَمُـدَّنَّ يَقُـولُ الْبَـارِي عَيْنَيْـكَ فَـافْهَمْ سِـرَّهَا يَا قَـارِي

(١) الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ النَّضْرِ: كِتَابُ الدَّعَائِم، ص ١٥٦.

أَنْـتَ الَّـذِي خُوطِبْـتَ يَا خَلِيلِـي ... إِذَا عَقَلْـتَ حِكْمَـةَ الْجَلِيـلِ

فَـلَا تَظُـنَّ الزَّجْـرَ وَالْوَعِيـدَا ... لِلْمُصْـطَفَى أُرِيـدَ وَالتَّهْدِيـدَا

فَالْمُصْـطَفَى أَكْمَـلُ مَـنْ تَأَدَّبَا ... بِأَدَبِ اللهِ وَكَـانَ الْمُجْتَـبَى

طَهَّـرَهُ مِـنْ حِـينِ مَـا اصْطَفَـاهُ ... وَإِنَّمَـا يَعْـنِي بِهَـا سِـوَاهُ

وَلَمْ يَكُـنْ طَرْفَـةَ عَـيْنٍ رَكَنَـا ... قَـطُّ إِلَى زَهْـرَةِ هَـذِهِ الـدُّنَا

سَـرِيرُهُ مُرَمَّـلٌ بِاللِّيـفِ ... أَثَّـرَ فِي بَدَنِـهِ الشَّـرِيفِ[1]

وَقَالَ اللهُ -تَعَالَى- فِي هَذَا الْمَعْنَى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ الكهف: ٢٨. وَأَنْتَ إِذَا نَظَرْتَ فِي سِيرَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِي سِيرَةِ جَمِيعِ الرُّسُلِ، وَالْأَنْبِياءِ، وَالصَّالِحِينَ، وَجَدْتَهُمْ قَدْ عَاشُوا عِيشَةً مُتَوَاضِعَةً مِنْ غَيْرِ تَرَفٍ، وَمِنْ غَيْرِ حِرْصٍ عَلَى زَخَارِفِ الدُّنْيَا، وَتَنْوِيعِ مَأْكُولَاتِهَا، وَمَشْرُوبَاتِهَا، وَمَلَابِسِهَا، فَهُمْ لَمْ يُلْهِهِمُ التَّكَاثُرُ عَنْ طَلَبِ السَّعَادَةِ الْبَاقِيَةِ، فَاقْتَدِ بِهِمْ، وَدَعْ عَنْكَ كُلَّ

(١) سلك الدرر ج٢ ، ص٤٩٧.

مَفْتُونٍ بِالدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا، وَلَوْ كَانَ مِنَ الْمُتَعَلِّمِينَ، لَا تَنْخَدِعْ بِمَظْهَرِهِمْ، اللهُ يُعِينُكَ، وَيُعِينُنِي.

قِصَّةٌ

"خَرَجَ أَحَدُ الْمُتْرَفِينَ الْمُغْتَرِّينَ بِهَذِهِ الْحَيَاةِ الْحَقِيرَةِ فِي مَوْكِبٍ يَلْفِتُ الْأَنْظَارَ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ فُلَانٌ الْأَمِيرُ، فَقَالَتْ: هَذَا عَبْدٌ سَقَطَ مِنْ عَيْنِ اللهِ"!؛ فَلَا تَكْتَفِ بِحَلَاوَةٍ فَانِيَةٍ.

٢- الدُّنْيَا حُلْوَةٌ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوْا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ. أَخِي: إِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا حُلْوَةً فَإِنَّ الْجَنَّةَ أَحْلَى، وَإِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا فَانِيَةً فَإِنَّ الْجَنَّةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى؛ فَلَا يَشْغَلُكَ اللُّهَاثُ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا عَنِ الِاسْتِعْدَادِ لِلسَّعَادَةِ الدَّائِمَةِ.

مِثَالٌ: مَا رَأْيُكَ فِي إِنْسَانٍ فَقِيرٍ يَكْدَحُ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَتْعَبُ مِنْ أَجْلِ لُقْمَةِ الْعَيْشِ، ثُمَّ أَرْسَلَ لَهُ الْحَاكِمُ يَقُولُ لَهُ: تَعَالَ عِنْدِي وَسَوْفَ أُكْرِمُكَ، وَأُرِيحُكَ

بِمَالٍ حَلَالٍ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ، وَلَكِنَّهُ رَفَضَ، هَلْ يُعَدُّ هَذَا عَاقِلًا فِي نَظَرِ النَّاسِ؟ هَكَذَا أَنْتَ – يَا أَخِي– يَدْعُوكَ رَبُّكَ إِلَى الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ الْأَبَدِيَّةِ، حَيَاةٍ بِلَا مَرَضٍ، وَلَا مَوْتٍ، وَلَا مُشْكِلَاتٍ، وَلَا شَيْبٍ، وَلَا حَوَادِثِ سَيَّارَاتٍ، لَكَ فِيهَا كُلُّ مَا تَشْتَهِي وَتَشَاءُ، فَلَا تَشْغَلْكَ حَلَاوَةُ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ عَنْ حَلَاوَةِ الْجَنَّةِ الْبَاقِيَةِ، فَإِنَّكَ سَوْفَ تَتْرُكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَنْ يَدْخُلَ مَعَكَ فِي الْقَبْرِ إِلَّا عَمَلُكَ فَاجْعَلْهُ خَيْرَ أَنِيسٍ، وَفَّقَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ.

٣- يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلاثَةٌ: أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ ، يَرْجِعُ أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. إِذَنْ عَمَلُنَا هُوَ الَّذِي يَبْقَى مَعَنَا فِي الْقَبْرِ، وَلِهَذَا يَنْبَغِي أَنْ نَكُونَ حَرِيصِينَ عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي يُؤْنِسُنَا فِي الْقَبْرِ، وَفِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَشْغَلَنَا عَنْهُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَتَرَفُهَا، وَزُخْرُفُهَا؛ فَإِنَّهَا إِلَى زَوَالٍ.

تَخَيَّلْ أَنَّ عِنْدَكَ ثَلَاثَةَ أَصْدِقَاءَ، أَحَدُهُمْ لَا يَنْفَعُكَ، بَلْ يُضَيِّعُ أَوْقَاتَهُ، وَأَوْقَاتَكَ، وَالثَّانِي يَنْفَعُكَ فِي وَقْتِ الرَّخَاءِ، وَالثَّالِثُ تَرَاهُ سَبَّاقًا لِمُسَاعَدَتِكَ فِي

وَقْتِ الضِّيقِ، وَالشِّدَّةِ، مَنِ الَّذِي تُفَضِّلُهُ وَتَهْتَمُ بِهِ مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ؟ أَرَاكَ تَقُولُ: الثَّالِثُ. نَعَمْ، الثَّالِثُ الَّذِي يَنْفَعُكَ وَقْتَ الضَّيقِ. وَهَكَذَا الْعَمَلُ الصَّالِحُ، تَرَاهُ عِنْدَكَ وَقْتَ الضِّيقِ، حِينَ تُسَدُّ عَلَيْكَ مَنَافِذُ الْقَبْرِ، وَتَرَاهُ مُظْلِمًا، إِلَّا إِذَا نَوَّرْتَهُ بِطَاعَةِ رَبِّكَ، فَاجْعَلْهُ شُغْلَكَ الشَّاغِلَ. قَالَ أَحَدُ الْعُبَّادِ: "رَأَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ يُفَارِقُهُ مَحْبُوبُهُ، فَطَلَبْتُ مَحْبُوبًا لَا يُفَارِقُنِي، فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا الْعَمَلَ الصَّالِحَ، فَأَنَا مَشْغُولٌ بِهِ"، فَاجْعَلْ مَحْبُوبَكَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا دَخَلَ النَّارَ نَسِيَ كُلَّ لَذَّةٍ وَتَرَفٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا مِنْ شِدَّةِ الْعَذَابِ.

٤- نَسِيَ كُلَّ شَيْءٍ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صِبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ، هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا وَاللهِ يا ربِّ! وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْساً فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ فِي الجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْساً قَطُّ، هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا وَاللهِ مَا مَرَّ بِي بُؤسٌ قَطُّ، وَلا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ. تَأَمَّلْ هَذَا الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ، فَهُوَ يُخْبِرُنَا بِأَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ تَرَفًا وَمَالًا وَجَاهًا فِي الدُّنْيَا حِينَ يُغْمَسُ فِي النَّارِ يَنْسَى كُلَّ رَاحَةٍ وَلَذَّةٍ وَتَرَفٍ كَانَ

فِي الدُّنْيَا، وَيَقُولُ حِينَ يُسْأَلُ: "مَا رَأَيْتُ نَعِيمًا قَطُّ" يَعْنِي فِي الدُّنْيَا. أَمَّا مَنْ عَاشَ -فِي الدُّنْيَا- فِي بُؤْسٍ، وَتَعَبٍ، وَفَقْرٍ، وَهُوَ مُطِيعٌ لِلهِ تَعَالَى، يَنْسَى جَمِيعَ الْمَصَائِبِ الَّتِي أَصَابَتْهُ فِي الدُّنْيَا، فَحِينَ يُغْمَسُ فِي الْجَنَّةِ يَقُولُ: "مَا رَأَيْتُ بُؤْسًا قَطُّ"، نَسِيَ مَا أَصَابَهُ فِي الدُّنْيَا، نَسِيَ مَصَائِبَ الدُّنْيَا، وَحُقَّ لَهُ أَنْ يَنْسَى مَعَ ذَلِكَ النَّعِيمِ الْمُؤَبَّدِ.

تَغَنَّى حَمَامُ الْأَيْكِ صُبْحًا وَغَرَّدَا فَهَيَّجَ مَحْزُونًا مِنَ الشَّوْقِ مُكْمَدَا
لِرَجْرَاجَةٍ بِكْرٍ مِنَ الْحُورِ كَاعِبٍ تَحِلُّ مِنَ الْفِرْدَوْسِ أَرْفَعَ مِصْعَدَا
زَهَتْ بِغَضَارَاتِ الشَّبَابِ فَمَا رَأَتْ عِنَاقًا وَلَا طَمْثًا وَحَمْلًا وَمَوْلِدَا
وَلَا هَرَمًا تَلْقَى وَجُوعًا وَلَا ظَمَا وَسُقْمًا وَلَا مَوْتًا وَعَيْشًا مُنَكَّدَا
وَلَيْسَ عَلَيْهَا ثَمَّ فَرْضُ عِبَادَةٍ فَتَعْيَى وَلَا تَخْشَى وَعِيدًا وَمَوْعِدَا
إِذَا قَعَدَتْ فَهْيَ الْمَيُودُ وَمَشْيُهَا تَعَاظَمَ فِيهِ بَهْجَةً وَتَأَيُّدَا
زَهَا الْمُلْكُ لَمَّا قِيلَ لِلْمُلْكِ إِنَّهَا حَيَاةٌ وَتَاهَ الْحُسْنُ فِيهَا تَنَجُّدَا
خَرُودٌ مَيُودٌ غَضَّةٌ بَضَّةٌ تَرَى لِمَاءِ الْحَيَا فِي الْوَجْهِ مِنْهَا تَرَدُّدَا
كَلُؤْلُؤَةٍ مَكْنُونَةٍ ذَاتِ جَوْهَرٍ تَبَلَّجَ مِنْ رَيِّ النَّعِيمِ تَوَقَّدَا
وَلَوْ نَمْلَةٌ دَبَّتْ عَلَى الْخَدِّ أَثَّرَتْ وَلَوْ رُمْتَ لَحْظَ الْمَتْنِ مِنْ سَاقِهَا بَدَا

وَلَـوْ شَـابَ شَـهْدٌ زَنْجَبِـيلًا لَشَـابَهَا ... بِرِيقَتِهَـا فَهْـيَ الشِّـفَاءُ مِـنَ الصَّـدَا

هِـيَ الطِّيـبُ وَالْأَطْيَـابُ مِـنْ طِيـبِ نَشْـرِهَا ... يَطِيـبُ فَيَـا طُـوبَى لِمَـنْ طَـابَ وَاهْتَـدَى

وَطَـوَّفَ وِلْـدَانٌ عَلَيْهَـا وَأَسْـلَمُوا ... إِلَيْهَـا قَـوَارِيرًا بِلُطْـفٍ تَـوَدُّدَا

مِـنَ الْمَـاءِ وَالْأَلْبَـانِ وَالْخَمْـرِ لَـذَّةً ... إِلَى الْعَسَـلِ الصَّـافِي لَذِيـذًا مُبَـرَّدَا

وَبَـيْنَ يَـدَيْهَا مَـا تَلَـذُّ بِعَيْنِهَـا ... وَمَـا تَشْـتَهِيهِ مُسْـتَقِيمًا مُخَلَّـدَا

تَـرَى نَحْوَهَـا زَوْجَـيْنِ مِـنْ كُـلِّ فَاكِـهٍ ... وَمِـنْ لَحْـمِ طَـيْرٍ لَا يَـزَالُ مُؤَبَّـدَا

بِآنِيَـةٍ مِـنْ فِضَّـةٍ مَحْضَـةٍ وَمِـنْ ... صِحَافٍ مِنَ الْعِقْيَانِ خُلِّقْنَ لِلْجَدَا

إِذَا مَـا اشْـتَهَتْ أَكْـلًا لِهَـذَا وَذَا دَعَـتْ ... بِسُـبْحَانَكَ اللَّهُـمَّ رَبِّي تَمَجُّـدَا

فَيَحْضُـرُ مَصْـنُوعًا شَـهِيًّا وَمَـا رَأَتْ ... لَـهُ مِـرْجَلًا يَغْلِـي وَنَارًا وَمَوْقِـدَا

مَـعَ الـرَّوْحِ وَالرَّيْحَـانِ وَالنُّـورِ وَالْبَهَـا ... تَرَغَّـدَ فِي رَوْضِ الْجِنَـانِ تَرَغُّـدَا

وَلَـذَّتُهَا تَـزْدَادُ فِي كُـلِّ سَـاعَةٍ ... وَرَغْبَتُهَـا فِيمَـا تُـرِيدُ تَجَـدُّدَا

فَوَيْـقَ سَـرِيرٍ لَمْ تَصُـغْهُ أَنَامِـلٌ ... عَلَـى عَبْقَـرٍ خُضْـرٍ تَـرَاهُ مُمَهَّـدَا

وَفِي غُرُفَـاتٍ مَـا رَأَتْهَـا نَـوَاظِرٌ ... وَلَمْ يَبْنِهَـا بَانٍ تَلَـوحُ زَبَرْجَـدَا

وَمِـنْ تَحْتِهَـا الْأَنْهَـارُ تَجْـرِي كَأَنَّهَـا ... رُعُـودُ سَـحَابٍ دَائِـمَ الرَّعْـدِ أَرْعَـدَا

تَفِـيضُ فَتَسْـقِي الـرَّوْضَ وَالـرَّوْضُ زَاهِـرٌ ... وَنَخْـلًا وَرُمَّـانًا وَطَلْحًـا مُنَضَّـدَا

فَـإِنَّ مَلِيـكَ الْمُلْـكِ وَالْعِـزِّ جَارُهَـا ... وَإِنَّ لَهَـا فِي مَقْعَـدِ الصِّـدْقِ مَقْعَـدَا

فَتِلْـكَ الْمُـنَى وَالـنَّفْسُ فِيهَـا وَدُونَهَـا عَـزَائِمُ هِمَّـاتٍ تَفُـلُّ الْمُهَنَّـدَا
فَـلَا تَعْذُلِـيني إِنْ عَـبَرْتُ لِمِثْلِهَـا بِحَـارًا وَأَنْجَـادًا وَبِيـدًا وَفَدْفَـدَا
وَلَا إِنْ هَجَـرْتُ الـدَّارَ لِلَّهِ مُرْضِـيًا وَآثَـرْتُ مَـا أَرْجُـوهُ مِـنْ فَضْـلِهِ غَـدَا
إِلَى أَنْ أَرَى لِلْمُرْمِـلِ الْعَـفِّ رَاحَـةً وَلِلـدِّينِ عِـزًّا مَـا بَقِيـتُ إِلَى الْمَـدَى
فَمَـا وَجَلِـي إِنْ مِـتُّ مُسْتَشْـهِدًا وَإِنْ حَلَلْـتُ بُطُـونَ الطَّـيْرِ أَوْ كُنْـتُ مُلْحَـدَا
أَذَلِـكَ خَـيْرٌ أَمْ فَـتًى حَـانَ حَيْنُـهُ فَوَافَـاهُ فِي يَـوْمٍ إِلَى الْأَرْضِ مُخْلِـدَا[1]

فَلَا تَغْتَرَّ بِبَرِيقِ الدُّنْيَا، وَتَرَفِهَا، وَزَخَارِفِهَا؛ فَإِنَّهَا لَا تُسَاوِي شَيْئًا مَعَ الْخُلُودِ فِي السَّعَادَةِ الدَّائِمَةِ.

٥- مَا أَحْقَرَ الدُّنْيَا!

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنظُرْ بِمَ يَرْجِعُ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ. يَعْنِي: لَوْ غَمَسْتَ أُصْبُعَكَ فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَخْرَجْتَهَا مِنْهُ، انْظُرْ مَاذَا أَخَذْتَ مِنَ الْبَحْرِ؟ هَذَا مِقْدَارُ الدُّنْيَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخِرَةِ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ أَعْمَتْ قُلُوبَنَا عَنْ طَلَبِ الْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ الدَّائِمَةِ، فَاحْذَرْ

(١) من ديوان السيف النقّاد من نظم الإمام المقدام إبراهيم بن قيس الحضرمي ص٥١-٥٣. الإمام إبراهيم بن قيس إباضي من أرض حضرموت من اليمن المبارك.

– يَا أَخِي– قَبْلَ أَنْ تَنْدَمَ، وَأَنْفِقْ مَا زَادَ عَنْ حَاجَتِكَ مِنْ مَالِكَ، وَلَوْ كَانَ مَلَايِينَ، فَإِنَّكَ –إِنْ لَمْ تُنْفِقْهُ– تَرَكْتَهُ، شِئْتَ أَمْ أَبَيْتَ، وَلَيْتَكَ تَسْلَمُ مِنَ الْعَذَابِ لِأَجَلِ مَالِكَ، يَأْكُلُهُ غَيْرُكَ وَتُعَذَّبُ أَنْتَ عَلَيْهِ، فَمَنْ تَلُومُ؟ أَلَيْسَ هَذَا تَدْبِيرَكَ؟

٦- أَنْفِقْ وَلَا تُبَالِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَباً لَسَرَّنِي أَنْ لَا تَمُرَّ عَلَيّ ثَلَاثُ لَيَالٍ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. هَذَا قَوْلُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ فَهُوَ لَا يُرِيدُ أَنْ يُبْقِيَ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ يَزِيدُ عَنْ حَاجَتِهِ إِلَّا مَا كَانَ يُبْقِيهِ لِوَفَاءِ دَيْنٍ! لِوَفَاءِ دَيْنٍ لَا لِبِنَاءِ قَصْرٍ، وَلَا لِأَنْوَاعِ الْأَطْعِمَةِ، وَالْمَلَابِسِ، وَوَسَائِلِ النَّقْلِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَاقْتَدِ بِنَبِيِّكَ –عَافَاكَ اللهُ وَهَدَاكَ– وَلَا تُفَكِّرْ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ الْمُتْرَفِينَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُكَ، وَيُمْرِضُ قَلْبَكَ.

٧- أَرِحْ قَلْبَكَ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. يَعْنِي: لَا تَنْظُرْ

إِلَى مَنْ نَالَ أَكْثَرَ مِنْكَ مِنْ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمَتَاعِهَا الزَّائِلِ، وَعَاشَ مُتْرَفًا مُنَعَّمًا؛ فَإِنَّكَ قَدْ تَحْتَقِرُ نِعْمَةَ اللهِ تَعَالَى عَلَيْكَ، وَتَقُولُ: فُلَانٌ أَعْطَاهُ اللهُ أَكْثَرَ مِنِّي. فَتَجْلِبُ –إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ– لِقَلْبِكَ الْهَمَّ، وَالْغَمَّ، وَالْحِقْدَ، وَالْحَسَدَ، وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ كَثْرَةَ الْمَالِ وَالْأَوْلَادِ خَيْرٌ لَكَ؟ فَكَمْ رَأَيْنَا أُنَاسًا يَتَعَذَّبُونَ بِأَمْوَالِهِمْ، وَعَاشُوا حُرَّاسًا لِتِلْكَ الْأَمْوَالِ، حَتَّى فَاجَأَهُمُ الْمَوْتُ فَتَرَكُوا كُلَّ شَيْءٍ. وَالْمَالُ إِذَا لَمْ يُسْتَعْمَلْ فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى فَهُوَ نِقْمَةٌ، وَلَيْسَ نِعْمَةً.

قِصَّةٌ

طَالِبَانِ كَانَا يَدْرُسَانِ مَعًا، وَبَعْدَ الدِّرَاسَةِ تَوَظَّفَ أَحَدُهُمَا فِي مَنْصِبٍ عَالٍ –هَكَذَا يُقَالُ– وَالثَّانِي اشْتَغَلَ بِالْعِبَادَةِ، وَكَانَتْ عِيشَةٌ مُتَوَاضِعَةً، وَكَانَ سَعِيدًا رَاضِيًا بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ، يَرَى أَنَّ الْفَوْزَ أَنْ يَعِيشَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى، فَمَرَّ عَلَيْهِ زَمِيلُهُ السَّابِقُ فِي الدِّرَاسَةِ، وعَلَى الْمَارِّ عَلَامَاتُ الْعُجْبِ، فَرَآهُ جَالِسًا فِي الشَّمْسِ، وَكَانَ الْبَرْدُ شَدِيدًا، فَوَقَفَ يُكَلِّمُهُ، فَحَجَبَ عَنْهُ الشَّمْسَ، وَقَالَ لَهُ: هَلْ تُرِيدُ أَنْ أُسَاعِدَكَ بِشَيْءٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، أُرِيدُ أَنْ تَغْرُبَ عَنْ شَمْسِي. فَانْظُرْ – أَخِي– إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَرُ مِنْكَ تُرِحْ قَلْبَكَ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ عَبْدًا لِلَّهِ وَحْدَهُ قَلْبًا وَقَالَبًا.

٨- عَبْدُ الدِّينَارِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

الْعِبَادَةُ لَيْسَتْ هِيَ الصَّلَاةَ، وَالصَّوْمَ فَقَط، بَلِ الْعِبَادَةُ هِيَ الطَّاعَةُ، طَاعَةُ اللهِ تَعَالَى فِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَعِبَادَةُ الشَّيْطَانِ طَاعَتُهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ يس: ٦٠

فَكُلُّ مَنْ أَطَعْتَهُ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى فَقَدْ عَبَدْتَهُ مِنْ دُونِ اللهِ، وَهَكَذَا كُلُّ شَيْءٍ عَصَيْتَ اللهَ مِنْ أَجْلِهِ فَقَدْ عَبَدْتَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْحَدِيثِ. تَأَمَّلْ قَوْلَ الرَّسُولِ ﷺ: (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ) فَقَدْ سَمَّاهُ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَلَا يَعْنِي هَذَا أَنَّهُ سَجَدَ لِلدِّينَارِ، أَوِ الدِّرْهَمِ، وَإِنَّمَا عَصَى رَبَّهُ مِنْ أَجْلِ الْحُصُولِ عَلَيْهِ، وَهَكَذَا كُلُّ شَيْءٍ عَصَيْتَ اللهَ مِنْ أَجْلِهِ فَقَدْ عَبَدْتَهُ؛ فَكُنْ عَبْدًا لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَاصْبِرْ عَلَى طَاعَةِ رَبِّكَ مَا دُمْتَ فِي الدُّنْيَا، فَأَنْتَ هُنَا فِي الدُّنْيَا فِي سِجْنٍ، وَالرَّاحَةُ أَمَامَكَ، اسْلُكْ الطَّرِيقَ الَّتِي تُوصِلُكَ إِلَيْهَا.

٩- السِّجْنُ الْمُؤَقَّتُ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ. الْمُؤْمِنُ مَسْجُونٌ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ نَفْسَهُ عَمَّا تَشْتَهِيهِ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَيَمْنَعُهَا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُبَاحَاتِ الشَّاغِلَةِ عَنْ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى، يَقُولُ الْإِمَامُ نُورُ الدِّينِ السَّالِمِيُّ:

بَـلْ جُعِلَـتْ لِلْمُـؤْمِنِينَ سِـجْنَا وَجَنَّـــةً لِلْكَـــافِرِينَ تَفْـــنَى

يَا وَيْـلَ مَـنْ جَنَّتُـهُ الـدُّنْيَا وَمَـا لَـهُ مِـنَ الْأُخْـرَى نَصِيبٌ قُسِـمَا[1]

فَكُلُّ مَنْ عَاشَ يَتَمَتَّعُ بِلَذَّاتِ الدُّنْيَا وَتَرَفِهَا وَشَهَوَاتِهَا، وَلَا يَهُمُّهُ حَلَالٌ أَوْ حَرَامٌ، فَإِنَّ الدُّنْيَا جَنَّتُهُ الْمُؤَقَّتَةُ، وَإِذَا لَمْ يَتُبْ فَسَوْفَ يَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى سِجْنٍ رَهِيبٍ، وَاللهِ لَا يَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ السِّجْنِ أَبَدًا. أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنْ مَاتَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى فَقَدْ خَرَجَ مِنَ السِّجْنِ إِلَى جَنَّاتِ الْخُلُودِ، فَانْتَبِهْ قَبْلَ فَوَاتِ الْحَيَاةِ، وَقَبْلَ أَنْ تَقُولَ: ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ الفجر: ٢٤، وَاصْبِرْ مَا دُمْتَ غَرِيبًا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى بَلَدِ الْإِقَامَةِ الدَّائِمَةِ.

---

(١) (جوهر النظام).

١٠- الْغَرِيبُ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. هَمُّ الْغَرِيبِ أَنْ يَجْمَعَ مَا يَنْفَعُهُ فِي بِلَادِهِ حِينَ يَرْجِعُ إِلَيْهَا، هَلْ رَأَيْتَ غَرِيبًا هِمَّتُهُ أَنْ يَتَزَيَّنَ وَيُفَاخِرَ أَهْلَ الْبِلَادِ؟ كَذَلِكَ أَنْتَ، مَأْمُورٌ أَنْ تَكُونَ مِثْلَ الْغَرِيبِ، هِمَّتُكَ مَا يَنْفَعُكَ فِي الدَّارِ الْبَاقِيَةِ وَمَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ فَإِنَّهُ يَجْعَلُ جَمِيعَ النِّعَمِ وَسَائِلَ تُقَرِّبُهُ إِلَى اللهِ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى تَرَفٍ وَزِينَةٍ، فَهُوَ يُرِيدُ زِينَةً لَا تَزُولُ. احْرِصْ عَلَى هَذَا عَافَاكَ اللهُ، وَاقْنَعْ بِمَا آتَاكَ اللهُ مِنْ مَالٍ، وَاقْتَصِدْ فِي الْإِنْفَاقِ عَلَى بَيْتِكَ؛ فَبِهَذَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَصَدَّقَ.

١١- الْقَنَاعَةُ.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا فِي بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. (شَطْرُ شَعِيرٍ): شَيْءٌ مِنْ شَعِيرٍ، أَيُّهَا الْمُتْرَفُونَ: هَكَذَا كَانَ عَيْشُ نَبِيِّكُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِهِ فَاتَّبِعُوهُ، لَا أَقُولُ: جَوِّعُوا بُطُونَكُمْ؛ فَإِنَّ الْمُتْرَفِينَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ قَلِّلُوا مِنْ تَنْوِيعِ الْأَطْعِمَةِ، وَالْأَشْرِبَةِ، وَالْمَلَابِسِ، وَتَصَدَّقُوا بِمَا زَادَ عَنْ حَاجَتِكُمْ تَجِدُوهُ يَوْمَ فَقْرِكُمْ، أَقْرِضُوا اللهَ مِنْ

هَذِهِ النِّعَمِ الْفَانِيَةِ يَرُدَّهَا لَكُمْ خَالِدَةً، وَتَأَكَّدُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَظْلِمُكُمْ. انْظُرْ مَاذَا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ مَوْتِهِ؟

١٢- تَرِكَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ أَخِي جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها قَالَ: (مَا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِينَاراً، وَلَا دِرْهَماً، وَلَا عَبْداً، وَلَا أَمَةً، وَلَا شَيْئاً، إِلَّا بَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ الَّتِي كَانَ يَرْكَبُهَا، وَسِلَاحَهُ، وَأَرْضاً جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَتَذَكَّرْ أَنَّ نَصِيبَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَنْفَقْتَهُ أَوْ أَكَلْتَهُ أَوْ لَبِسْتَهُ.

١٣- نَصِيبُكَ مِنَ الْمَالِ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ -بِكَسْرِ الشِّينِ وَالْخَاءِ الْمُشَدَّدَتَيْنِ الْمُعْجَمَتَيْنِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ ، قَالَ: (يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي! وَهَلْ لَكَ —يَا ابْنَ آدَمَ— مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ!). رَوَاهُ مُسْلِمٌ. أَمْضَيْتَ: أَنْفَذْتَ.

هَذَا هُوَ نَصِيبُكَ مِنْ مَالِكَ، مَا أَكَلْتَهُ أَوْ لَبِسْتَهُ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ، أَوْ تَرَفٍ، وَكَذَلِكَ مَا تَصَدَّقْتَ بِهِ، فَاحْرِصْ عَلَى إِنْفَاقِ الْمَالِ طَلَبًا لِرِضَا رَبِّكَ وَرَحْمَتِهِ، فَإِنَّ مَا أَكَلْتَهُ، أَوْ شَرِبْتَهُ، أَوْ لَبِسْتَهُ فَنِيَ وَانْتَهَى، أَمَّا مَا تَصَدَّقْتَ بِهِ فَإِنَّكَ حَوَّلْتَهُ مِنْ فَانٍ إِلَى بَاقٍ يَسُرُّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

مَا أَكَلْتَهُ أَوْ لَبِسْتَهُ أَوْ تَصَدَّقْتَ بِهِ هُوَ لَكَ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَهُوَ لِغَيْرِكَ تَتْرُكُهُ وَرَاءَ ظَهْرِكَ، وَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقِيرًا، وَلَوْ كُنْتَ فِي الدُّنْيَا تَمْلِكُ الْمَلَايِينَ، وَالْمُصِيبَةُ الْكُبْرَى أَنَّكَ تُحَاسَبُ عَلَيْهَ، وَقَدْ تُعَذَّبُ عَلَيْهِ، يَقُولُ الْحَكِيمُ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِيُّ: "تَحُلُّ بِالْإِنْسَانِ عِنْدَ مَوْتِهِ فِي مَالِهِ مُصِيبَتَانِ مَا سَمِعَ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ بِمِثْلِهِمَا: يَفُوتُهُ كُلُّهُ وَيُسْأَلُ عَنْهُ كُلَّهُ". (يُسْأَلُ): يُحَاسَبُ. وَاعْلَمْ أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْفُقَرَاءُ.

١٤- أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. يَعْنِي أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْفُقَرَاءُ الْمُتَّقُونَ، وَلَمْ يَقُلْ: الْمُتْرَفُونَ الْمُنَعَّمُونَ الْغَارِقُونَ فِي الشَّهَوَاتِ الَّذِينَ

هَمُّهُمْ بُطُونُهُمْ وَفُرُوجُهُمْ. هَذَا الْحَدِيثُ رِسَالَةٌ إِلَى الْمُتْرَفِينَ، أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَنَا وَإِيَّاهُمْ، وَفِيهِ رِسَالَةٌ ثَانِيَةٌ لِلنِّسَاءِ، فَإِنَّهُنَّ غَارِقَاتٌ فِي حُبِّ الزِّينَةِ إِلَى حَدِّ الْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي، وَالشَّاهِدُ مَا تَرَى كُلَّ يَوْمٍ، انْظُرْ لِمَاذَا الْخَيَّاطُونَ لِلنِّسَاءِ أَكْثَرُ مِنَ الْخَيَّاطِينَ لِلرِّجَالِ؟ هَلْ عَدَدُهُنَّ أَكْثَرُ؟

وَكَثِيرٌ مِنَ النِّسَاءِ رَضِيَتْ أَنْ تَظْهَرَ شِبْهَ عَارِيَةٍ فِي الْقَنَوَاتِ الْفَاسِدَةِ الْفَضَائِيَّةِ، وَتَظُنُّ الْمِسْكِينَةُ أَنَّ هَذَا تَقَدُّمٌ وَرُقِيٌّ! فَعَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَتَّقِيَ اللهَ تَعَالَى؛ فَإِنَّ أَنْفَاسَهَا مَعْدُودَةٌ، وَإِذَا لَفَظَتْ آخِرَ نَفَسٍ وَلَمْ تَتُبْ فَيَا وَيْلَهَا مِنْ سِجْنٍ مُؤَبَّدٍ، وَأَحْزَانٍ لَا تَنْتَهِي. إِنَّ كُلَّ حُلْوٍ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى يَعُودُ مُرًّا، وَكُلُّ فَرَحٍ بِهَا يَعُودُ حُزْنًا وَاللهِ. وَلَا تَظُنَّ أَنْ الْإِسْلَامَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعِيشَ فَقِيرًا؛ لا، امْلِكْ مِئَاتِ الْمَلَايِينِ إِنِ اسْتَطَعْتَ -وَكَانَتْ حَلَالًا- وَلَكِنْ لَا تَنْسَ رُقْيَةَ الْمَالِ، وَهِيَ أَنْ تَأْخُذَهُ مِنْ حَلَالٍ، وَتُسَخِّرَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى.

أَنْفِقْ مِنْهُ فِي طَلَبِ رَحْمَةِ اللهِ، وَلَا تَخْشَ الْفَقْرَ، فَإِذَا عَمِلْتَ لِلْمَالِ هَذِهِ الرَّقْيَةَ لَا يَضُرُّكَ بَلْ يُعِزُّكَ، وَإِلَّا فَسَوْفَ يَلْدَغُكَ لَدْغَةً مَا سَمِعَ الْأَوَّلُونَ وَلَا الْآخِرُونَ بِمِثْلِهَا، وَيَبْقَى سُمُّ هَذِهِ الْأَفْعَى أَبَدًا مُؤَبَّدًا، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ، وَحِينَئِذٍ

اصْرُخْ كَمَا تُرِيدُ، وَسَوْفَ يَزِيدُكَ لَدَغَاتٍ وَلَدَغَاتٍ فَمَنْ تَلُومُ؟ أَلَيْسَ هَذَا اخْتِيَارَكَ؟

وَبَعْضُ النِّسَاءِ تَذْهَبُ إِلَى الْخَيَّاطِ لِتَفْصِيلِ الثِّيَابِ وَتَتْرُكُهُ يَقِيسُ لَهَا، وَيَلْمَسُهَا كَمَا يُرِيدُ! أَخْبَرَنِي أَحَدُ الْإِخْوَةِ قَالَ: دَخَلْتُ مَحَلَّ خَيَّاطٍ فَوَجَدْتُ امْرَأَةً قَدْ أَتَتْ بِبَنَاتِهَا لِلتَّفْصِيلِ، وَهُنَّ عَرَائِسُ، وَجَعَلَ الْخَيَّاطُ يَقِيسُ لَهُنَّ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، وَالْأُمُّ تَنْظُرُ مَسْرُورَةً، هَكَذَا لَا حَيَاءَ وَلَا إِيمَانَ وَلَا غَيْرَةَ! لِمَاذَا -يَا فَتَاةَ الْإِسْلَامِ- وَصَلْتِ إِلَى هَذَا الدَّرْكِ؟ أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ أَنْفَاسَكِ مَعْدُودَةٌ؟ لِمَاذَا اخْتَرْتِ الْحَيَاةَ الْفَانِيَةَ عَلَى الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ الْبَاقِيَةِ؟

يَا أَخِي أَلَمْ تَسْمَعْ بِمَنْ حَبَسَهُ مَالُهُ؟

١٥- أَصْحَابُ الْغِنَى مَحْبُوسُونَ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِم إِلَى النَّارِ). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. تَأَمَّلِ الْحَدِيثَ، فَأَصْحَابُ الْجَدِّ (الْحُظُوظِ الدُّنْيَوِيَّةِ) مَحْبُوسُونَ، فَالْمَسَاكِينُ سَبَقُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْأَغْنِيَاءُ فِي الْحَبْسِ، وَالْإِسْلَامُ لَا يُحَرِّمُ

عَلَيْكَ أَنْ تَمْلِكَ أَمْوَالًا مِنْ حَلَالٍ، وَلَكِنَّ الْمُصِيبَةَ الْكُبْرَى أَنْ يَكُونَ الْمَالُ سَبَبًا فِي عَذَابِ النَّارِ الدَّائِمِ. يَا أَخِي: امْلِكْ مَلَايِينَ مِنْ حَلَالِكَ، وَاجْعَلْهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِلَّا فَهُوَ نِقْمَةٌ، وَلَيْسَ نِعْمَةً، أَلَا تَقْتَدِي بِنَبِيِّكَ ﷺ؟

١٦- عَيْشُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتى قُبِضَ). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. قُبِضَ: تُوُفِّيَ. وَلَوْ كَانَ التَّرَفُ خَيْرًا لَأَعْطَى اللهُ رَسُولَهُ أَحْسَنَ أَنْوَاعِ التَّرَفِ وَأَكْثَرَهُ، وَلَوْ كَانَ التَّرَفُ خَيْرًا لَمَا أَعْطَاهُ اللهُ أَعْدَاءَهُ الْكَافِرِينَ، وَلَمَا عَاشَ كَثِيرٌ مِنَ الرُّسُلِ فُقَرَاءَ، وَلَوْ كَانَ التَّرَفُ خَيْرًا لَكَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ تَرَفًا الْأَنْبِيَاءُ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى يُرِيدُ لَهُمْ حَيَاةً بَاقِيَةً، تَأَمَّلْ ثِيَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

١٧- كِسَاءُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: أَخْرَجَتْ لَنَا عَائِشَةُ رضي الله عنها كِسَاءً وَإِزَارًا غَلِيظًا، قَالَتْ: (قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي هَذَيْنِ). قُبِضَ: تُوُفِّيَ.

١٨- بَذْلُ الْفَضْلِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، الْفَضْلُ: الزَّائِدُ عَنِ الِاقْتِصَادِ، وَالْكَفَافُ مِنَ الرِّزْقِ: الْقُوتُ، وَهُوَ مَا كَفَّ عَنِ النَّاسِ أَيْ: أَغْنَى. هَنَا يَأْمُرُنَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَبْذُلَ مَا زَادَ عَنْ حَاجَتِنَا، يَعْنِي نُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ. وَأَنْتَ —إِذَا اتَّبَعْتَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرَفَهَا وَزُخْرُفَهَا— فَلَنْ يَبْقَى عِنْدَكَ شَيْءٌ تَتَصَدَّقُ بِهِ، وَتُقَدِّمُهُ لِيَوْمِ فَقْرِكَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَنْ يَبْقَى أَبَدًا حَتَّى لَوْ كَانَ رَاتِبُكَ شَهْرِيًّا عَشْرَةَ آلَافِ رِيَالٍ، وَالشَّاهِدُ مَا تُشَاهِدُ، وَلَكِنِ اقْتَصِدْ وَدَعْ عَنْكَ التَّرَفَ وَالْإِسْرَافَ، اشْتَرِ مَا أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ بِأَقَلِّ ثَمَنٍ، أَوْ كُنْ وَسَطًا، وَاتْرُكْ كُلَّ مَا أَنْتَ مُسْتَغْنٍ عَنْهُ، وَوَفِّرْ ذَاكَ الْمَبْلَغَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ. يَقُولُ الْإِمَامُ نُورُ الدِّينِ السَّالِمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

وَكُلُّ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ دَعِ ... وَلَا تُحَاوِلْهُ وَلَوْ لَمْ يُمْنَعِ

وَلْيَكُنْ شِعَارُكَ: دَعْ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ، وَتَذَكَّرْ أَنَّ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ طَلَبَتْ زَوْجَاتُهُ زِيَادَةً فِي النَّفَقَةِ لَمْ يَقُلْ لَهُ رَبُّهُ: أَعْطِهِنَّ مَا طَلَبْنَ، بَلْ أَمَرَهُ أَنْ يُخَيِّرُهُنَّ بَيْنَ الْبَقَاءِ عِنْدَهُ عَلَى تِلْكَ الْعِيشَةِ الْمُتَوَاضِعَةِ وَبَيْنَ الطَّلَاقِ، قَالَ اللهُ

تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩﴾ الأحزاب: ٢٨ – ٢٩ هَكَذَا قُلْ لِزَوْجَتِكَ إِذَا أَرَادَتِ التَّرَفَ، أَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ، وَقَدِّمْ مَا زَادَ عَنْ حَاجَتِكَ لِيَوْمٍ فَقْرِكَ تَفْرَحْ حِينَ تَرَى كِتَابَ أَعْمَالِكَ مَلِيئًا بِالْحَسَنَاتِ.

١٩- الْغِنَى الْحَقِيقِي.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. الْعَرَضُ بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَالرَّاءِ: الْمَالُ.

مِنْ أَسْبَابِ التَّرَفِ

١. ضَعْفُ الْإِيمَانِ (التَّصْدِيق) بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ رَأَى الْجَنَّةَ بَعَيْنَيْهِ هَلْ يَشْغَلُهُ التَّرَفُ عَنْ طَلَبِهَا؟ لَوْ رَآهَا لَآثَرَهَا؛ لِأَنَّهُ صَارَ عِنْدَهُ يَقِينٌ بِوُجُودِهَا؛ لِأَنَّهُ رَآهَا، وَأَيْقَنَ أَنَّ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ خَالِدَةً لَا تُسَاوِي شَيْئًا مَعَ الْجَنَّةِ، وَلَكِنَّ ضَعْفَ التَّصْدِيقِ أَوْقَعَهُ فِي التَّرَفِ.

٢. طُولُ الْأَمَلِ (الطَّمَعُ فِي طُولِ الْحَيَاةِ) فَحِينَ يَطْمَعُ الْإِنْسَانُ فِي طُولِ الْحَيَاةِ سَوْفَ يَرَى الْمَوْتَ بَعِيدًا؛ فَيَغْرَقُ فِي التَّرَفِ.

٣. عَدَمُ أَخْذِ الْعِبْرَةِ مِنَ الْمُتْرَفِينَ الَّذِينَ فَاجَأَهُمُ الْمَوْتُ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ زَادٌ، وَمَا أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ الْمُتْرَفِينَ الَّذِينَ خَنَقَهُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ وَهُمْ لَا يُبَالُونَ بِدِينِهِمْ!

٤. صُحْبَةُ الْمُتْرَفِينَ.

٥. الْجَهْلُ بِمَصَارِعِ الْمُتْرَفِينَ؛ فَإِنَّهُ لَوْ عَلِمَ حَالَهُمْ، وَمَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ النَّكَالِ لَكَانَ حَذِرًا مِنْ ذَاكَ الْمَصِيرِ الْمُحْزِنِ.

عَاقِبَةُ الْمُتْرَفِينَ

هَؤُلَاءِ الْمُتْرَفُونَ كَانَتْ عَاقِبَتُهُمْ مَرَّةً فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ، سَوَاءً كَانُوا مُشْرِكِينَ أَوْ يَدَّعُونَ الْإِسْلَامَ.

كَانَ الصَّحَابَةُ- بَعْدَ مَعْرَكَةٍ مِنَ الْمَعَارِكِ- فَرِحِينَ بِنَصْرِ اللهِ تَعَالَى لَهُمْ وَانْعَزَلَ أَحَدُهُمْ يَبْكِي، إِنَّهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَسَأَلَهُ جُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ: "لَمَاذَا تَبْكِي يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ فِي يَوْمٍ أَعَزَّ اللهُ فِيهِ الْمُسْلِمِينَ"؟ فَقَالَ: "وَيْحَكَ يَا جُبَيْرُ، مَا أَهْوَنَ الْخَلْقَ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا تَرَكُوا أَمْرَهُ! بَيْنَمَا هِيَ أُمَّةٌ قَاهِرَةٌ ظَاهِرَةٌ لَهُمُ الْمُلْكُ تَرَكُوا أَمْرَ اللهِ تَعَالَى فَرَأَيْتَهُمْ كَمَا تَرَى".(١) فَالْإِنْسَانُ -إِذَا عَاشَ غَارِقًا فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا نَاسِيًا اللهَ تَعَالَى وَالْيَوْمَ الْآخِرَ فَلَيْسَ لَهُ قِيمَةٌ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، إِنَّهُ هَيِّنٌ عَلَى اللهِ، وَمَنْ يُهِنْهُ اللهُ تَعَالَى فَمَنْ يَسْتَطِيعُ إِكْرَامَهُ؟ وَأَنْتَ -إِنْ شِئْتَ أَنْ تَعْرِفَ مَصِيرَ الْمُتْرَفِينَ- اقْرَأْ سِيرَتَهُمْ كَيْفَ عَاشُوا؟ وَكَيْفَ نِهَايَتُهُمْ؟ اقْرَأْ تَأْرِيخَ الْأَنْدَلُسِ، وَكَيْفَ غَرَقُوا فِي التَّرَفِ؟ وَكَيْفَ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ أَعْدَاءَهُمْ؟ وَلِمَاذَا نَبْعُدُ بَعِيدًا؟ انْظُرْ هَذِهِ الْحُرُوبَ الدَّامِيَةَ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ

(١) (صفة الصفوة ج ١ ص ٢٦٥، ابن الجوزي).

حَتَّى صَارَ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدًا، وَمَا عَلَى أَعْدَائِهِمْ إِلَّا أَنْ يَخْلُقُوا بَيْنَهُمُ الْمُشْكِلَاتِ وَهُمْ يَسْتَجِيبُونَ مِثْلَ الْأَطْفَالِ، وَأَعْدَاؤُنَا يَضْحَكُونَ مِنْ ضَعْفِ عُقُولِنَا، إِنَّهُمْ يُنَاطِحُونَ بَيْنَنَا مِثْلَ التِّيرَانِ! بَلْ إِنَّ أَعْدَاءَنَا صَارُوا يَقْتُلُونَ بَعْضَنَا عَلَى حِسَابِ بَعْضِنَا الْآخَرَ! أَلَيْسَ هَذَا وَاقِعَنَا؟ قَارِنْ بَيْنَ ذِلَّةِ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ، وَبَيْنَ عِزَّتِهِمْ حِينَ كَانَ قَائِدُهُمْ كِتَابَ اللهِ تَعَالَى، وَأَنْتَ إِذَا عَرَفْتَ كَيْفَ غَرِقَ الْمُسْلِمُونَ فِي التَّرَفِ وَالْمَعَاصِي لَمْ وَلَنْ تَسْتَغْرِبَ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْهَوَانِ وَالتَّقْتِيلِ.

الْحَادِي

تَقَضَّـى ثَمِـينُ الْعُمْـرِ فِي نَشْـوَةِ الْهَـوَى وَحَشْـوُ مَـزَادِي بَـاطِلٌ وَغُـرُورُ

أَأَلْهُـو وَقَـدْ نَادَى الْمُنَـادِي لِمُنْتَهَـى إِلَيْـهِ وَإِنْ طَـالَ الْمَطَـالُ أَصِيـرُ

وَصُبْـحَانِ مِـنْ عَقْـلٍ وَشَـيْبٍ تَنَفَّسَـا فَـذَا مُسْـفِرٌ هَـادٍ وَذَاكَ سَفِيـرُ

وَإِنِّي وَإِنْ سَـوَّمْتُ نَفْسِـي بِمَسْـرَحٍ مَرَاعِيـهِ سُـمٌّ نَاقِـعٌ وَشُـرُورُ

يُـطَوِّرُ لِي الشَّـيْطَانُ أَطْـوَارَ كَيْـدِهِ وَنَفْسِـي لَـهُ فِيمَـا يَشَـاءُ نَصِيـرُ

فَلَـسْتُ بِمَـتْرُوكٍ سُـدًى دُونَ مَوْقِفِـي عَلَـى الْغَـيِّ عُقْبَى أَشْـرَفَتْ وَمَصِيرُ

سَـيُوقِفُنِي مِـنْ رَقْـدَةِ اللَّهْـوِ نَاعِـبٌ يَحُـطُّ بِمَحْتُـومِ الـرَّدَى وَيَطِيـرُ

تَقَضَّـى بِيَ الْمَحْيَـا وَجَهْلِـي مَطِيَّتِـي وَقَائِـدُهَا دُنْيَـايَ وَهْـيَ غَـدُورُ

أَمَـانٍ وَأَوْهَـامٌ وَزُخْـرُفُ بَـاطِـلٍ سَـرَابٌ بِقِيعَـانِ الْفَـلَاةِ يَمُـورُ

مُحَصِّلُهَـا بِالْكَـدِّ وَالْـكَدْحُ رَاقِـبٌ لِفَـوْتٍ وَتَفْـرِيقٍ إِلَيْـهِ تَحُـورُ

فَلَـيْسَ سَدِيـدًا جَمْـعُ هَـمٍّ لِجَمْعِهَـا وَدَائِـرَةُ التَّفْـرِيقِ سَـوْفَ تَـدُورُ

سَـنَتْرُكُهَا بِالرَّغْـمِ وَهْـيَ حَبِيبَـةٌ وَرُبَّ حَبِيـبٍ لِلنُّفُـوسِ مُبِيـرُ

وَمِـنْ عَجَـبٍ مَيْـلُ النُّفُـوسِ لِعَاجِـلٍ يَحُـولُ عَلَـى أَكْـدَارِهِ وَيَبُـورُ

وَإِسْـرَاعُهَا فِي الْغَـيِّ إِسْـرَاعَ آمِـنٍ وَنَاقِـدُ أَعْمَـالِ الْعِبَـاد بَصِـيرُ

مَـتَى أَقْلَعَـتْ عَنَّـا الْمَنُـونُ وَهَـلْ لَنَـا بِغَيْـرِ طَرِيـقِ الْغَـابِرِينَ عُبُـورُ

أَمِ الْأَمَـلُ الْمُلْهِـي بَـرَاءَةُ غَافِـلٍ مِـنْ الْمَـوْتِ أَمْ يَـوْمُ الْمَعَـادِ يَسِـيرُ

أَتَفْـرَحُ إِنْ شَـاهَدْتَ نَعْشًـا لِهَالِـكٍ إِلَيْـكَ أَكُـفُّ الْحَامِلِيـنَ تُشِيـرُ

سَـتَرْكَبُ ذَاكَ الْمَـرْكَبَ الْـوَعْرَ سَاعَـةً إِلَى حَيْـثُ سَـارَ الْأَوَّلُـونُ تَسِـيرُ

نَقِـي مِـنْ غُبَـارِ الْأَرْضِ بِيـضَ ثِيَابِنَـا وَتِلْـكَ رُفَـاتُ الْهَالِكِيـنَ تَطِيـرُ

لِيَ الْوَيْـلُ هَـلَّا أَرْعَـوِي عَـنْ مَهَالِكِـي أَمَـا فِي الْمَنَايَـا وَاعِـظٌ وَنَذِيـرُ

أَمَـا فِي عَوِيـلِ النَّائِحَـاتِ مُذَكِّـرٌ أَمِ النَّـوْحُ حَـوْلِي وَالْبُكَـاءُ صَفِيـرُ

أَمِ الْغَـارَةُ الشَّعْـوَاءُ مِـنْ أُمِّ قَشْعَـمٍ يَشُـنُّ أَصِيـلٌ هَوْلَهَـا وَبُكُـورُ

عَلَـى كُـلِّ نَفْـسٍ غَيْـرَ نَفْسِـيَ رُزْؤُهَـا وَيَمْنَعُنِـي مِنْهَـا حِمًـى وَسُتُـورُ

بَلَـى سَوْفَ تَغْشَانِـي مَتَى حَانَ حَيْنُهَا فَيَعْجَـزُ عَنْهَـا نَاصِـرٌ وَعَشِيـرٌ

وَتَفْجَـــأُنِي يَوْمًـــا وَزَادِي خَطِيـئَـــةٌ وَإِثْمٌ وَحُـــوبٌ فِي الْكِتَـــابِ كَبِيـــرُ

أَرَى الْخَطْبَ صَعْبًـا وَالنُّفُـوسَ شَـحِيحَةً عَلَـى زُخْـرُفٍ فَـانٍ مَـدَاهُ قَصِيـرُ

وَتِلْـكَ ثِمَـارُ الْجَهْـلِ وَالْجَهْـلُ مَرْتَـعٌ وَخِـيمٌ وَدَاءٌ لِلنُّفُـــوسِ عَقُـــورُ

وَلَـوْ حَاوَلَـتْ نَفْـسٌ عَـنْ الشَّـرِّ نَزْعَـةً تَنَازَعَهَـا طَبْـعٌ هُنَـاكَ خَـؤُورُ

فَزَجَّـتْ بِهَـا الْآمَـــالُ فِـي غَمَرَاتِهَـا إِلَى أَنْ دَهَاهَـا مُنْكَـرٌ وَنَكِيـرُ

فَثَبَّطَهَـا تَسْوِيفُهَـــا وَهْـوَ قَـارِضٌ لِرِمَّـةِ آجَـالِ النُّفُـوسِ هَصُـورُ

وَدَأْبُ النُّفُـوسِ السُّـوءُ مِـنْ حَيـثُ طَبْعِهَـا إِذَا لَمْ يَصُـنْهَا لِلْبَصَـائِرِ نُـورُ

تَـدَارَكْ وَصَـايَا الْحَـقِّ وَالصَّبْـرِ إِنَّمَـا يَفُـوزُ مُحِـقٌّ بِالْفَـلَاحِ صَبُـورُ

وَخُـذْ بِكِتَـابِ اللهِ حَسْبُـكَ إِنَّـهُ دَلِيـلٌ مُبِـينٌ لِلطَّرِيـقِ خَفِيـرُ

فَمَـا ضَـلَّ مَـنْ كَـانَ الْقُـرَانُ دَلِيلَـهُ وَمَـا خَـابَ مَـنْ سَـيْرَ الْقُـرَانِ يَسِيـرُ

تَمَسَّـكْ بِـهِ فِي حَالَـةِ السُّخْـطِ وَالرِّضَـا وَطَهِّـرْ بِـهِ الْآفَـاتِ فَهْـوَ طَهُـورُ

وَحَـارِبْ بِـهِ الشَّـيْطَانَ وَالنَّفْـسَ تَنْتَصِـرْ فَكَافِيـكَ مِنْـهُ عَاصِـمٌ وَنَصِيـرُ

دُعِيـتَ لِأَمْـرٍ لَيْـسَ بِالسَّـهْلِ فَـاجْتَهِدْ وَسَـدِّدْ وَقَـارِبْ وَالطَّرِيـقُ مُنِيـرُ

وَأَسِّـسْ عَلَـى تَقْـوَى مِـنَ اللهِ تَوْبَـةً نَصُـوحًا عَلَـى قُطْـبِ الْكَمَـالِ تَـدُورُ

وَزِنْ صَـالِحَ الْأَعْمَـالِ بِالْخَـوْفِ وَالرَّجَـا هُمَـا جُنَّـةٌ لِلصَّالِحَـاتِ وَسُـورُ

وَبِالْعَـدْلِ وَالْإِحْسَـانِ قُـمْ وَاسْتَقِـمْ كَمَـا أُمِـرْتَ وَبَادِرْ فَالْمَعَـاشُ قَصِيـرُ

وَرَاقِـبْ وَصَـايَا اللهِ سِـرًّا وَجَهْـرَةً فَفِـي كُـلِّ نَفْـسٍ غَفْلَـةٌ وَفُتُـورُ

وَجَـرِّدْ عَلَـى الْإِخْـلَاصِ جِـدَّكَ فِي التُّقَـى فَفَوْقَـكَ بِالشِّـرْكِ الْخَفِـيِّ خَبِيـرُ

وَثَابِـرْ عَلَـى الْمَعْـرُوفِ كَيْـفَ اسْتَطَعْتَـهُ وَدَعْ مُنْكَـرَاتِ الْأَمْـرِ فَهْـيَ ثُبُـورُ

وَمِـلْ حَيْـثُ مَـالَ الْـحَقُّ وَالصِّـدْقُ وَاسْـتَبِقْ مَلِيًّـا إِلَى الْخَـيْرَاتِ حَيْـثُ تَصِيـرُ

وَأَخْلِـصْ مَـعَ الْجِـدِّ الْيَقِيـنَ فَإِنَّـهُ بِـهِ تَنْصُـرُ الْأَعْمَـالُ وَهْـيَ بُـذُورُ

وَبِالرُّتْبَـةِ الْقُصْـوَى مِـنَ الْـوَرَعِ الْتَـبِسْ فَلِلْـوَرَعِ الـدِّينُ الْحَنِيـفُ يَحُـورُ

وَكُـنْ فِي طَرِيـقِ الْإِسْتِقَامَـةِ حَـاذِرًا كَمِـينَ الْأَعَـادِي فَالشُّـجَاعُ حَـذُورُ

يَحُـوزُ طَرِيـقَ الْإِسْتِقَامَـةِ حَـازِمٌ عَلَـى حَـرْبِ قُطَّـاعِ الطَّرِيـقِ قَـدِيرُ

مَرَاصِـدُهَا شَتَّـى وَفِي كُـلِّ مَرْصَـدٍ لِخَصْـمِكَ حَـرْبٌ بِالْبَـوَارِ تَفُـورُ

فَـلَا تَخْـشَ إِرْهَـاقًا وَسَـاوِرْ لُيُوثَهَـا بِعَـزْمٍ يَفُـضُّ الْخَطْـبَ وَهْـوَ حَسِيـرُ

وَرَافِـقْ دَلِيـلَ الْعِلْـمِ يَهْـدِكَ إِنَّـهُ طَرِيـقٌ يَحَـارُ الْعَقْـلُ فِيـهِ وَعِيـرُ

وَفِعْلُـكَ حَـدَّ الْمُسْتَطَـاعِ مِـنَ التُّقَـى عَلَـى غَيْـرِ عِلْـمٍ ضَيْعَـةٌ وَغُـرُورُ

فَمَـا زَكَـتِ الطَّاعَـاتُ إِلَّا لِمُبْصِـرٍ عَلَـى نُـورِ عِلْـمٍ فِي الطَّرِيـقِ يَسِيـرُ

أَتَـدَّخِرُ الْأَعْمَـالَ جَهْـلًا بِوَجْهِهَـا وَأَنْـتَ إِلَى عِلْـمٍ هُنَـاكَ فَقِيـرُ

فَيَـا طَالِـبَ اللهِ ائْتِـهِ مْـنَ طَرِيقِـهِ وَإِلَّا فَبِالْحِرْمَـانِ أَنْـتَ جَدِيـرُ

فَلَسْـتَ إِذَا لَمْ تَهْتَـدِ الـدَّرْبَ وَاصِـلاً قَبِيلُـكَ فِي جَهْـلِ السُّلُـوكِ دَبِيـرُ

وَمَـا الْعِلْـمُ إِلَّا مَـا أَرَدْتَ بِـهِ التُّقَـى وَإِلَّا فَخِـطْأٌ مَـا حَمَلْـتَ كَبِيـرُ

فَكَـمْ حَامِـلٍ عِلْمًـا وَفِـي الْجَهْـلِ لَـوْ دَرَى سَلَامَتُـهُ مِمَّـا إِلَيْـهِ يَصِيـرُ

وَمَـا أَنْـتَ بِالْعِلْـمِ الْغَزِيـرِ بِمُفْلِـحٍ وَمَالَـكَ جَـدٌّ فِي التُّقَـاةِ غَزِيـرُ

وَحَسْـبُكَ عِلْمًـا نَافِعًـا فَـرْدُ حِكْمَـةٍ بِهَـا السِّـرُّ حَـيٌّ وَالْجَـوَارِحُ نُـورُ

تَعَلَّـمْ لِوَجْـهِ اللهِ وَاعْمَـلْ لِوَجْهِـهِ وَثِـقْ مِنْـهُ بِالْمَـوْعُودِ فَهْـوَ جَـدِيرُ

تَعَـرَّضْ لِتَوْفِيـقِ الْإِلَـهِ بِحُبِّـهِ وَدَعْ مَـا سِـوَاهُ فَالْجَمِيـعُ قُشُـورُ

هُـوَ الشَّـأْنُ بِالتَّوْفِيـقِ تَزْكُـو ثِمَـارُهُ وَمَتْجَـرُهُ وَاللهِ لَيْـسَ يَبُـورُ

كَـأَيِّ رَأَيْنَـا عَالِمًـا ضَـلَّ سَعْيُـهُ وَضَـلَّ بِـهِ جَـمٌّ هُنَـاكَ غَفِيـرُ

مَعَارِفُـهُ بَحْـرٌ وَيَصْـرِفُ وَجْهَـهُ إِلَى الْبَاطِـلِ الْخَـذْلَانِ وَهْـوَ بَصِيـرُ

وَأَفْلَـحَ بِالتَّوْفِيـقِ قَـوْمٌ نَصِيبُهُـمْ مِـنَ الْعِلْـمِ فِي رَأَيِ الْعُيُـونِ حَقِيـرُ[1]

(١) انتهى ملخصًا من ديوان الشيخ العلامة ناصر بن سالم بن عديم الرواحي العماني ص ٢٤-٢٦.

مَوَاعِظُ

يَا ابْنَ الْإِسْلَامِ الْعَزِيز تَذَكَّرْ مَا يَلِي:

١- التَّوْبَةَ التَّوْبَةَ، قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْكَ النَّوْبَةُ.

٢- الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، قَبْلَ أَنْ تُقْطَعَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ الصِّلَاتُ.

٣- السِّبَاقَ السِّبَاقَ إِلَى طَاعَةِ الْمَلِكِ الْخَلَّاقِ، قَبْلَ أَنْ يَلْتَفَّ السَّاقُ بِالسَّاقِ.

٤- التَّقْوَى التَّقْوَى، قَبْلَ أَنْ يُقَالَ لَكَ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَلَا تَقْوَى.

٥- الْبِدَارَ الْبِدَارَ إِلَى طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى قَبْلَ أَنْ يُسْدَلَ عَلَيْكَ السِّتَارَ.

٦- تَصَدَّقْ قَبْلَ أَنْ تَقُولَ: ﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ﴾ المنافقون: ١٠

٧- الْحَيَاةَ الْحَيَاةَ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ قَبْلَ أَنْ تُفَارِقَ الْحَيَاةَ.

٨- الصَّبْرَ الصَّبْرَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ قَبْلَ أَنْ لَا تَسْتَطِيعَ الصَّبْرَ.

٩- الشُّكْرَ الشُّكْرَ قَبْلَ أَنْ تَفْقِدَ الْوَفْرَ(الْمَالَ).

١٠- تَذَكَّرْ أَنَّ عُمُرَ الْإِنْسَانِ هُوَ الْوَقْتُ الْحَاضِرِ إِذَا كَانَ فِي طَاعَةِ اللهِ لِأَنَّ الْمَاضِيَ قَدْ مَاتَ، وَالْمُسْتَقْبَلَ غَيْبٌ لَا نَدْرِي هَلْ نَصِلُهُ أَمْ لَا، فَعَلَيْكَ بِالْوَقْتِ الْحَالِي اغْتَنِمْهُ فِي طَاعَةِ رَبِّكَ، لَا تَدَعْهُ يَفُوتُ كَمَا فَاتَ مَا مَضَى مِنَ الْعُمُرِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ. يَقُولُ الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ خَلْفَانُ بْنُ جُمَيِّلٍ السِّيَابِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

يَا نَفْسُ مَا أَمْسِ مِنْ أَيَّامِ عُمْرِكِ إِذْ ... خَلَتْ فَلَا تَحْسِبِي مَا كَانَ عَنْكِ خَلَا
يَا نَفْسُ إِنَّ غَدًا لَا تَعْلَمِينَ بِهِ ... لِمَنْ يَكُونُ لَعَلَّ الْحَبْلَ مَا وَصَلَا
يَا نَفْسُ مَا هُوَ إِلَّا الْيَوْمَ فَاجْتَهِدِي ... قَبْلَ الْغُرُوبِ وَإِلَّا فَاتَ وَارْتَحَلَا

١١- اعْمَلْ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ الْحَلَالِ وَاحْذَرْ أَنْ يَشْغَلَكَ عَنْ طَلَبِ الْجَنَّةِ، تَذَكَّرْ يَوْمَ النُّشُورِ مِنَ الْقُبُورِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ الملك: ١٥، نَعَمْ، اعْمَلْ وَاشْتَغِلْ وَلَكِنْ لَا تَنْسَ يَوْمَ النُّشُورِ.

١٢- تَذَكَّرْ قَبْلَ كُلِّ عِبَادَةٍ أَنَّكَ تُرِيدُ بِهَا ثَوَابَ اللهِ، تُرِيدُ بِهَا رِضَاءَ اللهِ، تُرِيدُ بِهَا الْجَنَّةَ، وَلَا تُرِيدُ مِدَحًا مِنْ أَحَدٍ وَلَا جَاهًا وَلَا شُهْرَةً.

١٣- تَذَكَّرْ أَنَّ كُلَّ عِبَادَةٍ لَا تَقْصِدُ بِهَا رِضَاءَ اللهِ فَلَا أَجْرَ فِيهَا، تَخَيَّلْ، قَدْ يَعِيشُ الْإِنْسَانُ سَبْعِينَ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ وَهُوَ يُصَلِّي وَيُؤَدِّي جَمِيعَ الْعِبَادَاتِ، وَكُلُّ تَعَبِهِ هَبَاءٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ رِضَاءَ اللهِ، فَضَبِّطِ النِّيَّةَ يَا أَخِي قَبْلَ كُلِّ عِبَادَةٍ.

١٤- تَذَكَّرْ أَنَّ كُلَّ دَقِيقَةٍ تَمُرُّ تُقَرِّبُكَ مِنَ الْآخِرَةِ فَلَا تَغْفُلْ مَعَ الْغَافِلِينَ الْمَفْتُونِينَ بِزِينَةِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، أَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكَ الْهِدَايَةَ وَالتَّيْسِيرَ.

مَرَاجِعُ مُهِمَّةٌ فِي الْمَوْضُوعِ

مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي تُعَدُّ مَرْجِعًا فِي التَّحْذِيرِ مِنَ التَّرَفِ، وَعِلَاجِهِ، وَأَسْبَابِهِ:

١. جَوْهَرُ النِّظَامِ، الْجُزْءُ الرَّابِعُ، وَخَاصَّةً بَابُ الزُّهْدِ، لِلْإِمَامِ نُورِ الدِّينِ السَّالِمِيِّ.

٢. سِلْكُ الدُّرَرِ، الْمُجَلَّدُ الثَّانِي، لِلشَّيْخِ خَلْفَان بْنِ جُمَيِّلٍ السِّيَابِيِّ.

٣. الدَّلَائِلُ، لِلشَّيْخِ دَرْوِيش بْنِ جُمْعَةَ الْمَحْرُوقِيِّ، بَلْ كُلُّ كُتُبِ هَذَا الشَّيْخِ.

٤. جَمِيعُ الْكُتُبِ الَّتِي تُحَذِّرُ مِنَ الِاغْتِرَارِ بِالدُّنْيَا، وَلَهْوِهَا، وَتَحُثُّ عَلَى الزُّهْدِ، وَالتَّقَلُّلِ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْفَانِي، وَهِيَ كَثِيرَةٌ جِدًا لَا أُحْصِيهَا، وَكُلُّهَا تَدْفَعُكَ إِلَى إِيثَارِ الْآخِرَةِ عَلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

الْخَاتِمَةُ

وَخِتَامًا أَسْأَلُ اللهَ الْعَلِيَّ الْقَدِيرَ أَنْ يُبْعِدَنَا عَنِ التَّرَفِ وَأَسْبَابِهِ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا إِيثَارَ الْآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَ قُلُوبَنَا وَقَوَالِبَنَا لَا تُفَارِقُ بَابَهُ، وَأَنْ يُبْعِدَنَا عَنْ كُلِّ مَا يُلْهِينَا عَنْ طَاعَتِهِ وَطَلَبِ جَنَّاتِهِ، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهَذَا الْكِتَابِ، وَيُؤْجِرَ وَيُبَارِكَ فِي مَنْ أَسْهَمَ فِي إِعْدَادِهِ، أَوْ طِبَاعَتِهِ، أَوْ تَوْزِيعِهِ، أَوْ إِهْدَائِهِ؛ طَلَبًا لِرِضَا مَوْلَاهُ، وَأَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يُبَارِكَ فِي أَوْقَاتِهِمْ، وَأَمْوَالِهِمْ، وَأَوْلَادِهِمْ، وَأَعْمَالِهِمْ. آمِينَ.

إِعْدَادُ: سَعِيدِ بْنِ مَطَرِ بْنِ سَعِيدٍ الْمَسْقَرِيِّ.

الْمَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ

١. الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

٢. صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ.

٣. صَحِيحُ مُسْلِمٍ.

٤. سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ.

٥. رِيَاضُ الصَّالِحِينَ، لِلنَّوَوِيِّ.

٦. السَّيْفُ النَّقَّادُ، لِلْإِمَامِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ قَيْسٍ الْحَضْرَمِيِّ.

٧. دِيوَانُ الْبَهْلَانِيِّ.

٨. جَوْهَرُ النِّظَامِ، لِلْإِمَامِ السَّالِمِيِّ.

٩. الدَّعَائِمُ لِلشَّيْخِ ابْنِ النَّضْرِ.

١٠. سِلْكُ الدُّرَرِ لِلشَّيْخِ خَلْفَان بْنِ جُمَيِّلٍ السِّيَابِيِّ.

١١. مُفْرَدَاتُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ لِلرَّاغِبِ الْأَصْفَهَانِيِّ.

١٢. تَيْسِيرُ التَّفْسِيرِ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ بْنِ يُوسُفَ اطْفَيِّش.

الْفَهْرَسُ

الْمُقَدِّمَة	**٧**
مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ	**٨**
حقيقة الترف	**١٠**
التَّرَفُ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ	**١٥**
١-بَيَّنَ اللهُ تَعَالى أَنَّ عَذَابَ الاسْتِئْصَالِ لِلأُمَمِ لَهُ سَبَبَانِ:	١٥
٢-الْمُتْرَفُونَ يُكَذِّبُونَ الرُّسُلَ:	١٩
٣-الْمُتْرَفُونَ يُحَاوِلُونَ الْهَرَبَ:	١٩
٤-الْمُتْرَفُونَ يَصْرُخُونَ:	٢٠
٥-التَّرَفُ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ:	٢٠
التَّرَفُ فِي السُّنَّةِ	**٢٢**
١-زَهْرَةُ الدُّنْيَا	٢٢
قِصَّةٌ	٢٥
٢-الدُّنْيَا حُلْوَةٌ.	٢٥
٣-يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ.	٢٦
٤-نَسِيَ كُلَّ شَيْءٍ.	٢٧
٥-مَا أَحْقَرَ الدُّنْيَا!	٣٠
٦-أَنْفِقْ وَلَا تُبَالِ.	٣١
٧-أَرِحْ قَلْبَكَ.	٣١

قِصَّةٌ ٣٢
٨-عَبْدُ الدِّينَارِ. ٣٣
٩-السِّجْنُ الْمُؤَقَّتُ. ٣٤
١٠-الْغَرِيبُ. ٣٥
١١-الْقَنَاعَةُ. ٣٥
١٢-تَرِكَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ. ٣٦
١٣-نَصِيبُكَ مِنَ الْمَالِ. ٣٦
١٤-أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ. ٣٧
١٥-أَصْحَابُ الْغِنَى مَحْبُوسُونَ. ٣٩
١٦-عَيْشُ رَسُولِ اللهِ ﷺ. ٤٠
١٧-كِسَاءُ رَسُولِ اللهِ ﷺ. ٤٠
١٨-بَذْلُ الْفَضْلِ. ٤١
١٩-الْغِنَى الْحَقِيقِي. ٤٢
مِنْ أَسْبَابِ التَّرَفِ ٤٣
عَاقِبَةُ الْمُتْرَفِينَ ٤٤
الْحَادِي ٤٦
مَوَاعِظُ ٥٢
مَرَاجِعُ مُهِمَّةٌ فِي الْمَوْضُوعِ ٥٥
الْخَاتِمَةُ ٥٦
الْمَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ ٥٧

تم بحمد الله

فالإنسان - إذا عاش غارقا في حب الدنيا وزينتها ناسيا الله تعالى، واليوم الآخر فليس له قيمة عند الله تعالى؛ إنه هيّن على الله، ومن يهنه الله تعالى فمن يستطيع إكرامه؟ وأنت- إن شئت أن تعرف مصير المترفين- اقرأ سيرتهم كيف عاشوا؟ وكيف نهايتهم؟ اقرأ تأريخ الأندلس، وكيف غرقوا في الترف؟ وكيف سلط الله عليهم أعداءهم؟ ولماذا نبعد بعيدا؟ انظر هذه الحروب الدامية في بلاد المسلمين حتى صار بأسهم بينهم شديدا...

مكتبة وتسجيلات الهلال الإسلامية
سلطنة عمان- ولاية الرستاق
هاتف وراسله: 26875222
ص ب: 94 الرمز البريدي: 318
البريد الإلكتروني: alhilal222@yahoo.com